

١٤٧٤٤

٩٨٢٥٢

١٩٩٧/٥/١٩

# رواية التجسد

تأليف

صاحب مجلة صهيون بمصر

طُبعت منها ٥٠٠٠ آلاف نسخة على نفقة

مرفس جرجس

حقوق الطبع محفوظة

للمنظم طبعها ونشرها مرفس جرجس

صاحب المكتبة الجديدة ومطبعها بشارع كلوت بك نمرة ٥٥ بمصر

مطبعة القاهرة — بول شارع بين الحارات نمرة ٧٤ بمصر

ولكن لنا الغنى عنه بمتى ومرقس ولوقا ويوحنا الذين عاصروا  
مجيء المسيح وشاهدوا بالعيان لا بالسمع ما وافق مجيئه من الحوادث  
الرائعة التي كان يتوقف على نهايتها وختامها لا تحرير هيلانة  
الاسيرة وتدمير حصون تروادة بل تدمير مملكة ابليس وتحرير  
العالم أجمع من أسر الشيطان ومخادع الظلام وخروجه الى حرية  
أبناء الله ونورهم المجيد

فاليكم أرفأ أهم القراء شرح حادثة مجيء المسيح من ميلاده  
الى صليبه الى قيامته الى صعوده سبكتها في قالب روائى يلدكم  
جداً جيداً ويقرب لكم الفهم عند درس مفصلاته في أسفار  
الانجيليين المذكورين ولا نبغي منكم عوض هذه الخدمة سوى  
الدعاء لنا بالآخرة الصالحة

صاحب مجلة صهيون



## رواية التجسد

هي حادثة شهيرة جرت في العالم من نحو ١٩ قرناً

لو كان أو ميرويس شاعر اليونان الشهير صاحب الالياذة التي  
ترجمت الى شتى اللغات واللغة العربية متأخراً بقلم المرحوم العلامة  
الفيلاسوف سليمان البستاني نظمها التي أودعها الشاعر اليوناني تفاصيل  
غارة عناصر الاغريقيين على تروادة بذنب انتهاك باريس بن  
بريادوس ملكها حرمة مناسك تلك لقدمونية الذي أحله ضيقاً  
عزيزاً في سرايه فخانه عند انتهازه فرصة غيابه وخطف امرأته  
الجنية هيلانة وسلب أمواله وهرب بها الى تروادة ولما شعر مناسك  
بهذه الخيانة دعا مختلف عناصر اليونان الأخذ بثأره فصار جيوشهم  
بقيادة أغاممنون وعولس وسواهما وزحفت على تروادة وأحذقت  
بها وحاصرتها وحاربتها مدة عشر سنين ودمرتها

نعم لو كان زمان مدون تاريخ هذه الحروب التي أريق فيها  
دماء الابطال والقواد والمساكر وزعمت فيها تلك الارواح الكثيرة  
متأخراً عن زمن مجيء المسيح والحوادث التي تباينت وكان لها  
مساس به لاختار إلياذته لها وفضل تدوينها فيها عن كل حوادث  
العالم لا عن حوادث تروادة فقط

هو ونسله (على سمك البحر)  
الارض)  
قال الابن ومن شأن  
الروح القدس ولما  
فيهمار الذي في

## الفصل الاول

« ١ » خلق آدم - « ٢ » عصيانه - « ٣ » اضطراب الملائكة - « ٤ » محاولة آدم اخفاء المعصية - « ٥ » الوعد بالفداء

« ١ » قال الله وهو يخاطب الابن والروح القدس ( نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا « تك ١: ٢٦ » )

قال الابن يلزم أن يكون هذا الانسان مزداناً بالعقل والنطق

والبيان

قال الروح القدس من صفات الكمال البر والقدس والطهر في كل الاحوال فيلزم أن يكون باراً وقديساً طاهراً  
قال الابن وملكاً ونبيّاً وكاهناً ايضاً

قال الاب ومن شأن الملك أن يكون ذا مملكة لكي يتسلط هو ونسله ( على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض )

قال الابن ومن شأن الملك أن يكون ذا قصر وجنة

قال الروح القدس ولتكن هذه الجنة حاوية جميع أنواع الفواكه والاشجار والاعمار اللذيذة وفي وسطها شجرة الحياة

قال الآب ليكن كذلك « وجبل آدم تراباً من الارض وفنخ في أنفه نسمة حياة فصار نفساً حية وغرس جنة في عدن شرقاً ووضع آدم الذي جبله ليعملها ويحفظها »

قال الروح القدس ليس جيداً أن يكون آدم وحده

قال الابن لنخلق له مؤنساً ومعيناً

قل الآب ليكن كذلك « فأوقع سباتاً على آدم فنام فأخذه واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحما وبني الضلع التي أخذها من آدم امرأة »

قال الروح القدس ليدخل آدم في مدرسة الطاعة بقدر الاستطاعة لكي يحتفظ بمزاياه وجميل عطايه ويستحق أن يرقى سلم الملائكة بغير الموت

قال الابن حسبه أن لا يدوق هذا الثمر طول العمر دون أثمار باقي الاشجار أي أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر مدى الدهر  
قال الآب هذه الامثلة سهلة اذا حفظها يسهل عليه حفظ غيرها ولكن اذا تعدى الامر فباذا نحكم عليه وتبعث من الاذى اليه؟

قال الروح القدس بتوبيخ الضمير الدائم

قال الابن والطرده من الفردوس والتعزية من النعمة

قال الآب بل موتاً يموت

« ٢ » قال الراوى بالالهام - موسى عليه السلام قد سمعت هذه

المحاوره وزكنت هذه المسامرة فازددت شوقاً وهياماً الى استطلاع

غرائبها والوقوف على أخبارها وعجائبها وما يتخللها من الاخذ والرد والكسر والفر لعلّي ألج بجرها وأسبر غورها فقدت الشمع وأملت السمع وسرت أفتنى الآثار وأكشف الاسرار في الاسحار حتى حانت منى التفاتة الى فتاة السحح لخاتمة والشكر لمبدعها وعاقها ثم لمحت بقرها حية رقطاء محتالة شعاء ومما أخذنى العجب والخوف وأرعب هو أنى سمعتها تنطق بأفصح لسان مع كونها حيواناً ابن حيوان

ومما قالته لتلك الفتاة الجاهلة والغادة الغافلة أحقاً بها كما الله عن أكل النمر من كل الشجر يا ذات كل محاسن وغرر؟ قالت المرأة لا بل قد صرح لنا أن نأكل من كل نمر الشجر الا ما ينجم عنه الضرر

قالت الحية لو ذقنا هذا النمر لتجاوزنا منزلة البشر وقتما الشمس والقمر وعرقنا الخير والشر

وهكذا من دهاء الشيطان والكذب والبهتان حتى اغترت الفتاة برهرة المرباب وظلمته من الشراب فاشتبهت ذلك النمر وهو يمتثل بثوب الاوراق كتنور في عظم الضياء والاشراق وتناولته هي وآدم فانالها الموت وضردهما من ذلك المملوكوت

« ٣ » قال الراوى حصلت عقيب هذا الحادث المريع والواقع الشنيع ضجة فوق السماء بين جنود السماء فارفعت بالروح اليها لاقف على ما حدث فيها فسمعت الملاك مخايل يقول لغبريال :

لقد اكفهر وجه هذا الفضاء واضطربت السماء واستحوذ الفلام وزال من الارض كل سلام

قال غبريال كفكف يا أخى الدمع وارعى كل السمع فهوذا أرى أنا أيضاً الارواح اقربين قد سكتوا عن التسبيح والتقديس واشتملهم التقطيب والتعيبس فلا يقدر الحيوانات الجلّاس على العرش ولا يسجد له الشيوخ حسب عادتهم « رؤ ٦: ٤ »

قال مخايل هذا اليوم يدكرنى بالذى سقط فيه قاهر الامم الى العدم وهو زهرة بنت الصبح الذى طمع بقبيح الرب وحاول أن يصير مثل العلي فلا بد أن يكون لما نزل الى الارض عنا فيها طولا لعرض وشوش نظامها وقروض أركانها كما أربك السماء وجنب ذنبه ثلث نجومها

قال غبريال احتفظ بنظام جند الرب لاهبط الى الارض كبرق خلب وآتيك بصحة الخبر على الاثر

قال مخايل افعل كذلك وأنا أسهر أثناء غيابك على حركات كل ملك وأطوف دائرة الفلك وبعده أن غاب مدة حضر ودعا مخايل قائلاً :

أخي لتلبس لباس الحداد وتتشج بالسواد على آدم الذى دون خلاصه خرط القتاد

قال مخايل إذا لقد ابتلعه حوت البحر أو افترسه وحش البر أو هوت فوقه الجبال وأدركته الاهوال

قال غبريال كلاً بل أنى وجدته صحيح الجسم سالم العظم ولكن  
قد مسه الجنون وقد نور العيون وأمسى يخط في ظلام دامس  
ويعثر في الظهر كما في عتمة الشهر الخامس وهو عريان حزين  
يحاول أن يستتر بأوراق شجر النين ولما قصدت الطيران سمعت  
قهقهة من تلك الاغصان فتأملت فيها وإذا بالحياة القديمة تجر نوب  
الخلياء وانضحك كشلاء

قال تخايل لقد صدق الظن منى وزال الريب عنى وهو أن  
الرئيس الذى هوى مع التيه والهوى لما دحرناه يوم القتال ونكبات  
النضال هو وجنده الذين شاطروه الضلال « رؤى ١٢: ٧ و ٨ » زاد  
به الهيام الى أخذ النار والانتقام فالتقى بآدم وأفرغ في جسمه معه  
وأكثر همه وغمه إذ جعل أن يستاء حاله ويفقد كاله فامسك بأخي  
الزمام لاقتب على الواقع بالتمام وآتيك بصحة القول والكلام

« ٤ » قال الراوى تركت الملاك يتحلق في الافلاك واقتربت  
من الجنة لاسمع نهاية حوادث مخالفة السنة وإذا بشيخه ابن  
الانسان الحذر من حضن العتيق الزمان الى الرياض والجنان  
فكفت الطيور عن التغريد ولجأت الى أوكارها والوحوش هربت  
الى مقارها والبهائم اجتمعت زرافات ووقفت ياهته جماعات  
جماعات

أما آدم فكان يحيق به الخجل ويمشى القمل على عجل فناداه  
الرب الاله قائلاً

أين أنت اليوم الحاضر من أمسك الغابر وحالك الموجود  
من أمرك المعبود كنت أسمعك بالامس ترفع نغماتك الى قدس  
القدس وقد أشغلك الآن الهوس وألزمك الفتور والنمى فهل  
اعتراك الكبر والعجب وتجاوزت سنة الرب حتى اشتعلك الرعب  
ولماذا تحاول الفرار من أمام أبى الانوار الى القفار مع الاشرار  
قال آدم وهو قادم قد سمعت صوت خطواتك ماشياً فاخترت

بين الشجر خاشياً فاني عريان ومن الخزي ملآن  
قال الله لقد كنت لابساً حلة من الديباج وبيدك عصا السيادة  
من العاج تمسك بها على أمراب الطيور وقطعان النعاج أملكك  
أكلت ذاك الثمر حتى زال عنك البصر وخالفت الوصية حتى  
حاق بك هذه البلية ؟

قال يارب ماعلي من عتب فلا أحتمل هذا الملام فلا تكثر  
الكلام فان المرأة التي خلقتها الى معينة عاقلة رصينة هي التي قد  
سببت لي الانعاب وأوقعتهنى في هذا المصاب بعذوبة اللسان  
ورقة الخطاب

قال الله كيف لا أعتب عليك وقد حذرتك ووعدتك وتواعدتك  
فحق عليك العقاب فانك من التراب وتعود الى التراب وليكن  
أكلك بالتعب والعرق والنصب وتلك المرأة تلد بالأوجاع فى كل الاجيال  
والاصقاع ولتمش بالحصرة والندم عند خطوة كل قدم وهذه  
الحية فلتكن من دون سائر الحيوان ملعونة ومن كل انسان

مكرهة مهانة

(٥) قال الراوى قال الله ذلك وصعد الى السماء في مركبة من  
الهواء فصعدت وراءه لاقف على آخر هذه الحكاية وأبلغ منها القصد  
والغاية فسمعت الآب يقول وينطق في الموضوع والمحمول : هوذا  
الانسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر والصالح والضرار  
مسكين لقد خاب منه الامل واعتراه الويل والنجمل وحق به الدمار  
والانقلاب واستحق كل نوع من العذاب في كل الاجيال والاحقاب  
قال الابن رحمتاه يا ابتاه انه يليق بك أن تغفر للانسان هذا  
السهو والنسيان لانه خلق للنعم لا للجحيم والسيادة لا للابادة  
قال الروح القدس بل انه يستحق العدل وقد كان الملاك مخلوقاً  
للسبع السماك فوقع في شرك الهلاك  
قال الابن ان الفرق بين هذا وذاك جسيم والبعد عظيم فالاول  
نوراني ذو بصيرة وحكمة ونظر وفطنة وقوة وفكر والثاني خالق من  
تراب الارض ضعيفاً جسماً كثيفاً الشيطان كان مسكنه السماء وآدم  
عقره التراب والماء

قال الآب لاحجة للانسان أمام العدل لا بالقول ولا بالفعل فاننا  
خلقناه حكيماً وسيداً عظيماً وسلطاناً على العالم والحيوان وقد علم  
بالالهام ما حل بالشيطان من الهوان  
قال الابن قد وجدت أسباب لطفين آدم وهي النار واحتتيال  
الغدار وأما الشيطان فلم يوجد لسقوطه سبب سوى العجب

قال الروح القدس ليتمجد العدل بالقصاص كما تتمجد الرحمة  
بالتفردان والغلاص فيلزم ان يعاقب الانسان بالطرد من الرياض  
والجنان الى أرض الشقاء والاحزان  
قال الابن قد تمجد العدل بقصاص الملائك فلتتمجد رحمتنا  
بإتخاذ هذا الهالك من المهالك وصعاب المسالك  
قال الآب ان عدلنا قضى بان نخلق آدم ذا حرية مطلقة وسيادة  
واختيار وإرادة وقد أخطأ اليينا وأهان كمالنا وجلالنا فيقتضى أن  
يكون جزاؤه بغير حد الى الابد ما لم يف وفاء تعادل كرامته كرامة  
شريعتنا المهانة

قال الروح القدس مسكين آدم انى له في هذه الحال التى أسمى  
الفساد مستولياً على طبيعته يفعل ما لا يريد ويتجنب ما يستصوب  
(رو ٧ : ١٤) ان يقوم بهذا الوفاء الذى لا يقوم به الروحانيون  
خفيف يقوم به الجسديون لان هؤلاء وأولئك متناهون  
قال الابن بماذا يتم هذا الوفاء؟

قال الآب يموت قدوس بار عن آدم المائت وسفك دم زكى  
عن آدم المقتول

قال الروح القدس سيأتى من نسل آدم من هم أبرار مثل نوح  
وابراهيم ويوسف وموسى ويشوع وصمويل وإيليا فالاول يخلص  
سبعة أنفار من الطوفان والثاني والثالث يخلص قومه من الجوع والرابع  
يخلص الشعب من المصريين وبعض الامم والخامس والسادس يخلص

اسرائيل الشعب من شر الفلسطينيين والسابع ينزل المطر ويزيل  
القمح ولا يمكن لبرارة هؤلاء أن تفعل أكثر من ذلك فتتخذ من  
موت العالم الحاضر فقط لا من المزمع لانهم ورنوا عن آدم الفساد  
والموت وبرايتهم إنما هي من الخطايا الفعلية

قال الابن ان رحمتنا التي لا تفر لها تلهمني أن احمل على عاتقي  
هذه المسؤولية (يو ١ : ٢٩) فأرسلني يا أبت الى الارض لاصير  
انساناً وأقبل بجسدي التعب والتعبير والبصاق والطم والصلب  
والاوجاع وسفك الدم والموت والقبر وأني بما أني إله العدل الالهي  
فلاصيرن انساناً وأقبل الموت وأحيي الميت الذي حاول أن  
يصير إلهاً

قال الأب هل نحتمل أن تولد من فتاة مقبرة في مغارة حقيرة  
ويحتقرك الشعب ولا يقبلوك ويدعوك سامرياً وبك شيطان  
ويرفعك على الصليب؟

قال الابن أجل احتمل كل ذلك (في ٢ : ٦) وأزِيل عن  
آدم الموت يموت

قال الأب انك مزمع أن تهرب الى مصر خوفاً من سطوة  
هيرودس وتسفك دمك أطفال لا ذنب لهم

قال الابن كل ذلك أقبله عن طيبة نفس محبة في نجاة آدم  
ورحمة به لاني لأشاء موت الخاطيء وأوائلك الاطفال فسا كافهم  
في ملكوتي وسأنيّل والدانهم صبراً وعزاء

قال الروح القدس بل ان الفتاة التي ستخذها أمّاً لك ستقاسي  
من أجلك مرارة الحزن ورسلك سيكونون مهانين من كل أحد من  
أجل اسمك

قال الابن كل الذين سيتبعوني في التجديد سأجلسهم على  
كراسي في ملكوتي

قال الاب اذاً انطلق وعد آدم بالنجاة وقل للحية (ان نسل  
المرأة يسحق رأسك تك ٣ : ١٥)

قال الروح القدس وانا ساكون في أفواه بعض أولاده البارين  
مبشراً ونذيراً بالوفاء والخلاص

## الفصل الثاني

- (١) مؤامرة سلطان الظلمة ووزرائه على البشر - (٢) انتصارهم  
على مدينة نفس الانسان - (٣) ارتباك الارواح الشريرة - (٤)  
فرار قائد الكبرياء والتجديف من على جبال يهوذا - (٥) العائلة  
المقدسة في بيت لحم - (٦) ولادة الملك عمانوئيل

« ١ » قال الراوي موسى عليه السلام لما سمعت الحية القديمة  
تهديد الرب لها بأن نسل المرأة يسحق رأسها لم تعأ به بل سخرت

واستهزأت وضحكت حتى استلقت على قفاها لعلها أنها أمست  
بطاعة آدم لها سلطانه والآمرة والناهي ولم يدر بخلدتها أن النسل  
المزعم أن يقتناها هو الابن الأزلي المزعم عند امتلاء الزمان أن يولد  
من امرأة

وبعد أن طرد آدم من الفردوس ووضع الحرس على بابه لينعموه  
من دخوله انساب الحياة الى خارج وهي مكري بخمرة الفرح وإذا  
برئيس الظلمة هش وبش في وجهها فجلس هو ووزراؤه على كراسي  
وعقد هم مجلس شوري وبدأ يخاطبهم قائلاً

لقد صفا لنا الجو بعد أن كان متعكراً فلا مشين في العالم ظاهراً  
بعد أن كنت أمشي فيه متعكراً فأطلب اليكم يا أنصاري وأشراري  
أن تشروا وساعد الجد والهمة لتحسن تدبير ممالكنا الواسعة ولتحكم  
فيها بالعسف ولا ندع أحداً يبيت سواد الليل إلا بالخرن والأسف  
ولا تقسم من جودي عليكم الأعمال وألقين على كاهلكم الاحمال  
والاقتال فاسسوا الولايات على الظلم والخياف والغشم وأكثروا فيها  
من القبور والابداث واقتلوا الأبرار والشيخ والاحداث

قال وزير الحقد والغيرة والحسد : أسألك يا مولاي وغاية مناي  
أن نجعل مملكة الحسد من شاتي ولطف نار أحزاني لكي أضرم  
نارها وأثير غبارها وأغرس بذارها في قلب الاخ ضد أخيه والمولود  
ضد أمه وأبيه وستسمع آتي أشعل غيظ الفتى قايين على هابيل  
المسكين وأحمله على قتله وأقد نيران الغيرة العمياء في قلوب أولاد

يعقوب الجهلاء ضد الاخ يوسف وأجعله أن يذوق طعم الغربة وأسقي  
والده كؤوس الفراق الصعبة وألهب قلب فرعون بالجنون والجنون  
وسوء السيرة وأحمله على إهلاك العشرة وأجعله أن يحاول قتل  
الريب موسى ابن ابنته الحبيب وكى من التصنعات في قلوب النساء  
المساكرات وكى عندي من أسباب الشراة في قدرة أن أثير خاطر  
الابن المنكود ضد والده المعبود

قال سلطان الظلمة لقد سلطتك على هذه المملكة الواسعة فما  
عليك من حرج فلا تبقى فيها من سعى ولا من درج لانك قادر أن  
تقول وتفعل القول

قال وزير الفحشاء وأنا سلطتي على مملكة العشق والغرام  
والشبق لالهيب قلوب الشيخ قبل الشبان بالشهوة التي هي من  
شأن الحيوان وسوف أتلب سنة الله في الزواج وهي أن يتزوج كل  
رجل امرأة واحدة وأحمل الناس على تعدد الزوجات والزيجات الى  
آخر رفق من الحياة وأنى مزعم أن أثير شهوة المذكورة ضد بعضهم  
حتى يمسى الحيوان أكثر عفة من الانسان وأنا الذي سيجعل بنات  
الناس مع أبناء الله وأدع الخالق أن يجلب عليهم الفرق وسوف أدمر  
غامورا وسادوم بهذا الذنب المشوم وسأجعل راوبيم يدنس مضجع  
والد الكريم وأغري بنات مواب أن يدنسن ويفضحن عسكر  
اسرائيل المهاب وأبيد سبط بنيامين وأهلك بسببه من باقي الاسباط  
أولاً ومبين



وشمشون الجبار ساذله بكيد البغي القهار . وداود الوديع ساذيب  
فؤاده بسعير العشق الغليظ وأجعله أن يركب مطية الجمل ويرتكب  
خطيئة الزنا والقتل وأمنون الولد المحنون سافنته بجمال أخته تامار  
وأعدده شر الفجار وسلبان الحكيم ساكثرله من الزوجات غير  
الراضيات لكي يغوين قلبه ويفسدن له ولا أطيل عليك الكلام  
بما آتته من الامور الجسام

قال سلطان الظلمة لقد منحتك هذه الرئاسة لما أعهد فيك  
من الدهاء والسياسة والتدبير والتغريرو والنزويرو متى أحسنت القيام  
بهذه المهام فسأرفع مقامك الى النعام

قال وزير الكبرياء ان الصلف يأتي بالتلف ويجعل المسكين  
المصلوك أن يرى نفسه ملكا من الملوك فساعى عيون الناس  
بالوسواس وأطعن بسهام الكبرياء قلوب الجلاء والاغبياء وأجعل  
حب الذات من شر الآفات وغداً أسمعك أنى صيرت المستبد  
بالرأى يسقط بسقوط مدينة عاى

فانا الذى سبتلى شاول بن قيس بالتقطيب والتعبين وفرعون  
الغدار ساربه أنه أرفع من النجم الجبار وأسنى من الافار وسادع  
بختنصر المهذار يرعى مع الوحوش كخنزير أو حمار وساهلاك من  
عساكر سنحاريب بهداء الداء الرهيب وأدع هيرودس الخطيب  
ينال أردأ نصيب ونيزون ذلك الحزون مضيره النار بهذا الشرار  
ودقلا العاقى أوتيه من مزايى وصفانى ويوليانوس الكافر سيموت

كعاهر من شر ظاهر أما رؤساء الدين فسيبلون من بسوء الظن  
وفساد اليقين كيلا يروا الفث من السنين

قال وزير حجة المال : ياذا الجلال سلطنى على ممالك الطمع  
وايلات الجمع والجثم والخطف والصف كى أكثر من اللصوص  
والسراق الى يوم التلاق وأدعهم يشبعون الطير والحيوان من  
لحوم الانسان ويجمعون ويكسبون ولا يربحون ويتمبون ولا  
يرتاحون الى أن يؤدى بهم الطمع الى قتل العريس والعروس والزج  
في السجون والحبوس

وبهذه السيادة سأكثر المظالم في العالم من الجاهل الى العالم  
فأدخل الاسواق بين الرفاق وأمسك هذا البتار وأضرب خيار  
التجار لكي يغشوا الميزان والمكيال والميعار وأعودهم على  
الكذب والقسم والظلم والغشم وأنزع الرحمة من قلوب ذوى  
النعمة وأجعل القضاة يقضون برشوة أو بعشوة وبالاختصار آنا  
مزعم أن أفضل في العالم أعمالا وأدعه خرباً وأطلالا وأقيم المال  
إلهاً يعبد دون الاله الاوحد

قال سلطان الظلمة : اقبض على هذا الصولجان كل أوان واضرب  
به قلب عخان ليسدوق طعم الذل والهوان . و عليك بهوذا الدافع  
جرعه السم الناقع وحانثيا وامراته دعها يخذعان ويطمعان ويطغيان  
وينزعان

قال وزير التجديف : كل هذه المزايا عقيمة وسقيمة في جانب ما آتية من الفعال ما لا ينهض به هؤلاء الابطال وهي آتي أنصب للناس كل شرك وأعلمهم الكفر والشرك ليتخذوا حق الله الأوتار ويعبدوا الطير والديب والحيوان  
قال سلطان الظلمة لقد أحسنت الرأي والقول فأجرهما بالعرض والطول

« ٢ » قال الراوى موسى عليه السلام : أما أنا فلما سمعت هذه المؤامرات والمشورات لم نعد في قوة للقيام على رجلي واعتزاني الدهول مدة نصف ساعة لا أعي فيها شيئاً ولا أعرف ان كنت ميتاً أوحياً وبيننا أنا كذلك واذا بواحد لم أر له ذاتاً بهمس في أذني قائلاً : أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فم فيكلمهم بكل ما أوصيه به (ث ١٨: ١٨) فارتفعت الى هذا الوعد وتجدد بي الأمل ثم سرت في طريق جميع الناس تاركا الامر والتدبير لهذا النبي القدير

أما ذلك النبي فهو يشوع المرموز به الى يسوع وقد آتحننا بما وقف عليه هو ومن آتى بعده من حوادث الحرب التي أسمر نارها الشيطان في العالم

قال الراوى يشوع ومن آتى بعده : سرت في ليلة من ليالى الشتاء في ظلمة شمعاء حاملا رسالة من لدن ربي الى شعبي فلما أعياني السفر ولم يكن قر عثرت بمكان ملآن من الاجسام المعظمة

والاصنام المجسمة فبغت إذ لم أعهد في هذا الطريق مثل هذه الاحوال والاشكال ولم يكن قليل حتى خرج من هاتيك الصور المنحوتة أشخاص بهيئات مخوفة ورؤيات مرعبة تخيفه البعض بأزياء نساء والآخربأزياء رجال وأخذوا برقصون ويفنون أغاني تجديف على الله ومسيحه وبعد قليل دقت الطبول والاجراس ونفخ في الاصوار ونادى المنادى أن حملات الشيطان رجعت برايات الفخار وعلامات الانتصار على أولاد آدم الفجار فحينئذ تذكرت ما أخبرني عنه معلمي عما سمعته من جمعية هؤلاء الارواح وزاد هيامي الى معرفة ما فعلوا في عالمنا الشقي ولم تكن مسافة حتى وفدت تلك الحملات فخرج الملك من صنم جسيم وبدأ يسألهم قائلاً مرحبا بقوادى الجبابرة وأعوانى الاكثرة لقد تحلمتم المشاق ودخلتم ميدان السباق وجلتم في الارض طولا لعرض « اى ١ : ٢٠ و ٢ : ٢ » واقتحمتم الاخطار الليل والنهار فاتحفوني بالغنائم

قال القواد : حاصرنا مدينة نفس الانسان وهذه الغنائم التي أحضرناها معنا جماجم الفجار ولاعبي القمار وكاشفي الاسرار وسافكي الدم المختار وجاحم المرايين والظالمين وعبيدة الاصنام والكفرة برب الانام

قال الملك : قصوا علي وقائع الحروب لا ترى ان كنتم

محرم الإبطال في ميدان القتال وهل أسر أحدكم أو كيف يكون ذلك وبأية وسيلة أو حيلة؟ فهل يخرج من نسل آدم  
خدمكم

قال القائد (مامونا): لقد تركنا قائد التجديف بحارب مخائيل أسره ويسهل أسره؟

على جسد موسى «يه: ٩» ليدع اليهود يعبدون غير الله فإن قائدنا  
هذا دانت له رقاب العباد في كل الأمصار والبلاد ماعدا رقابنا وللمشجوب أن يفدى المشجوب؟ فاعترتني حيرة وأي حيرة وإذا  
هذه الامة فكم مرة حاول أن ينسبها ذكر الله وهي تعود الى الهذية لم أعرف الطريق الى الخلاص من ذلك القصاص صرخت بصوت  
به ومما يضحكننا ولا يربكننا هو أن قائد عسكر الفحشاء بعد أن  
أتخن ملك اسرائيل وأسقطه من مجده الانيل ألفيناه يضرب  
على الزباب في ذكر الاحباب وينشد أناشيد الرحمة لينجس  
من النعمة ويؤمل أن يدرك بالمناجاة النجاة ومن هذا الحال عد  
ولا تبال

قال قائد الحسد: وقد تأخر عن القدوم قائد عسكر الكبرياء  
الذي قد تركناه يصوب سهامه نحو كهنة اليهود فلا بد أن النصارى  
حليفه يعود

«٣». قال الراوى: سمعت بأذى هذه القصص التي قصها  
قواد ملك الظلمة فخرت روحي واضطرب فؤادي وأعطينت  
الويل للإنسان الشقي ولعنت اليوم الذي بشر فيه بولادته وقلت  
كيف يرضى الخالق أن يترك لهؤلاء الطغاة العالم يمرحون فيه  
ويفرحون بهلاكه ولا يهتم بانقاذه فحاشا لاله الرحمة أن يحتمل  
ذلك فلا بد أن يأتي يوم نخفق فيه رايات النصر لبنى البشر ولكو

وأني للعبة المحطمة أن نجبر المكسور؟ ولاعب أن يفتك العبد؟

فما عرفت الطريق الى الخلاص من ذلك القصاص صرخت بصوت  
مسوع وبكاء ودموع (نخلصك انتظرت يارب تك ٤٩: ١٨)  
فجاوبتني تلك الارواح بسخرية ومزاح من الليل الى الصباح ثم  
أشرق وميض وفادي منادى في ذلك الواد قائلا

أنا أعلم أن ولي حي وبه ذلك على الارض يرى (اي ١٩: ٨٥)  
فاتمشت مني الروح وقلت هذا الصوت يشفي الكلوم ويبريء  
الجروح وقد زاد يقيني للنجاة من أولئك الطغاة ورجوت أن  
أجد على مدى الايام ومرور السنين والاعوام من يفك لي تلك  
المعميات ويحل لي رموز المواعيد الساميات

ثم وجهت الالتفات الى حركات وسكنات الاشباح الماكرات  
لأرى ماذا يكون من أمرها وزيادة شرها  
وبينا أنا أصدق النظر وأجلى البصر في ضوء القمر وأسمع  
قصص القواد لما وافوا من تضليل العباد وتدمير البلاد وإذا قد  
غشى ذلك المسكان ظلام دامس وققام متلاسم وعقب ذلك  
صراخ وضجيج وعويل وعجيج حتى اعتراني الغزع واشتغاني

الخوف والورع واحترت في ماذا عسى أن يكون سبب هذا من رياستك ودهائك وسياستك  
الانقلاب السريع والانعكاس المروع

وبعد مرور ساعات على هذه الحالات صرخ رئيس الظلام  
أن اسكتوا لنسمع نهاية الامر والكلام وعلى أثر هذا القول اندوى  
العمول حدث سكوت لم يبق بعده الا الشهيق والنهيق والزفير  
والصفير ففهمتم بالقريحة لا بالاقرار الصريحة أن قائد الكرياء  
والتجديف دحرهما راعي اسرائيل الطريف وقيدهما وعساكرهما  
بقيود أبدية (٦: ٦) وقد سقط البعض في الحرب وأنخن من  
الطعن والضرب فاستقدم الملك القائدين وقال لهما ماذا حدث  
لكما من المصائب وشر النوائب وما بالكما مكلان بالقيود  
كالا سود؟

قال قائد التجديف: مولاي وكل منأى بحجبي الخجل  
أن أرفع عيني اليك ولا يدعني الحياء أن أقف بين يديك فعدم  
جواني برهان على عظم مصابي ومشقاتي وأتداني وألمي وعذابي  
وقد كنت أومل أن النصر يكون حليفي في كل مكان كما كان بين  
العرب والعجم واليونان لكن خابت مني الآمال في هذه  
الليال وانكسرت في حومة القتال أنا وكل الابطال وفررت  
رغمًا عما عرفته بي من قوة الجأش والجنان يوم موقعة فردوس  
الجنان

قال الملك من هو ذلك الجبار والبطل القهار الذي جردك

قال القائد: لا أدري أهو انسان أم الرحمن وانما ماجرى  
أقصه عليك لكي تتدبر في أمرنا قبل أن يختلط خنا بجنونا  
ويقف دولاب شرنا كل عمرنا

بينما كنت في هذه الايام على رأس جبل من الجبال أحارب  
رعاة كانوا يحرسون حراسات الليل من داهية أوويل واذا  
بضوء أعضاء حولي أفقد مني النظر والنور والبصر فعزاني الارتعاش  
حتى لم يبق في انتعاش وسقطت سقوط الراكب عن غارب وما  
كنت أقف على القدم لأعلم ان كنت في الوجود أم في العدم  
حتى سمعت أصواتًا من السماء ولحت مخائيل وجنوده يتحلقون في  
السحب والهواء

« ٤ » قال ملك الظلام: ماذا فهمت يا همام من ذلك  
الكلام؟

قال: ما زاد شري وأكثر ضرري وأعد مني قواي وسبب لي  
بلواي وفرق عني الابطال وأردكان الحرب والرجال وأولاني القلق  
وسبب لي هذا الارق الا صوت شيخ زعزع الجبال وعاد علي  
بالوبال وهو قوله: هوذا قد غلب الاسد الذي من سبط يهوذا أصل  
داود ليفتح السفر ويفك ختمه السبعة (رؤ: ٥: ٥) وكان الضابط  
نسروخ أحد أركان حربي يقربني فسمع هاتفاً جاوبته الوديان وملا  
هتافه كل مكان وهو: سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت

مسكناً للشياطين ومحرمًا اسكل روح نجس ومحرمًا لنكل طائر  
نجس ومموت (رو ١٨ : ٢) ولما سمع هذا الصوت فاجأه  
الموت

وبعد ذلك سمع الضابطان بيل وعشتاروت مبشراً ينادي  
الرعاة ويقول لهم : قد ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو  
المسيح الرب (لو ٢ : ١١) وراى زفس والزهرة وايس جمهوراً  
يسبحون الله ويقولون (المجد لله في العلا وعلى الارض السلام  
وبالناس المسرة) (لو ٢ : ١١) فتركوا أسلحتهم ولجأوا الى الفرار  
في تلك القفار أما أنا فوقفت في ذلك المكان أسخط على الزمان  
حتى ذهب أرائك الارواح ينشدون نشيد الافراح ثم جئت مخذولاً  
مقهوراً مرذولاً

وما كاد ينتهي من روايته حتى تحفزت للقيام والذهاب الى دار  
السلام

« ٥ » وقد قص باقي هذه الرواية من ليس فيه ضلال ولا  
غواية فقال وأجاد في المقال

انطلقت الى اليهودية في غروب شمس مضينة وقصدت بيت  
لحم مدينة داود فسرت أنشد مكاباً للمبيت وبيننا أنا أسير في طرقاتها  
وأجوب ساحاتها نظرت شخصاً قهيراً يقود قناة حقيرة فاقتفيت  
منها الاثر لاقتص ذلك السر المعتبر فوضا على باب بيت رفيع  
الاركان شاهق البنيان وقرعاه قرعات متواليات فخرجت جارية

من بنات الشيطان كانت تخدم ذلك المكان وقالت من هذا الطارق  
الا سارق؟ فأجاب أنا يوسف النجار يا بنت الاحرار وامرأتى مريم  
الحرة لا تعرف المضرة يا ذات كل مبرة وكلانا من هذا الحي لا نعرف  
التي وقد كنا في الناصرة مقيمين يا ذات الجود المبين وقد جئته  
نكتب بحسب النسب

قالت الجارية ماذا تنشدان الآن ؟

قال يوسف ننشد مأوى للمبيت في هذا البيت

وقبل ان يتم كلامه مارضته الجارية قائلة ليس في هذا البيت  
مكان تحولاً عن الباب لئلا يدركا المصاب وأطرد أنا بهذه الاسباب  
فقلت : لاجيلة للراحة في هذه الساحة فهولاء قساة القلوب  
ملطخون بالاقدار والعيوب لا يقرون الضيف لا في الشتاء ولا في  
الصيف

وكانت تلك الليلة شديدة البرد فما صدقت أن صادفت فندقاً  
حتى خرجت عليه ولكن شفتني على ذينك الشخصين لم تدعني أن  
أجد راحة في ذاتي فلم ألبث قليلاً حتى خرجت أسمى في طلبهما  
لأحضرهما الى ذلك الفندق فجلت أسمى وأطوف في أزقة تلك  
البلدة الصغيرة الحقبرة (مى ١٥ : ٥) فلم أقف لها على أثر فعدت الى  
ذلك الفندق متوجع القلب من صروف الزمان وويلات الانسان  
وجلست بجانب شيخ كان يصطلي على نار وسألته قائلاً

أيها الشيخ الوقور ما هو اسمك وكم بلغت من السنين منذ  
ولدت الى هذا الحين ؟

قال اسمي سمعان وقد بلغت من الكبر عتياً وها قليل أذهب  
نسياً منسياً وأمضى الى الرمس مع رجال آمن فما أقل سنى عياني  
وأكثر مشقاتي (تلك ٣٧ : ٦)

قلت ما رأيت في زمانك من أفراحك وأحزانك قصها علينا  
لندراً هنا الريل في هذا الليل

قال ليس في العالم سرور بل شرور فقد اجتزت الزمن في  
المصائب والاحن ولكن أؤمل أن أجتاز باقي العمر بالسرور  
والطير

— كيف يكون ذلك والسعادة في أوقات الشبيبة التي ليس  
لك فيها إعادة ؟ والآن قد وهن منك العظم واعتراك الضعف  
والسقم

قل لا أنتظر راحة جسدية بل روحية

— هل في الاستطاعة أن أساهمك في كسب هذه البضاعة ؟

— قال ذلك في الطاعة

— لمن هذه الطاعة يا أبا القناعة

قال للعتيد أن يملك على بيت يعقوب الى الابد

— لا أرى الآن دواعي تستلزم الانقلاب في الهيئة الحاكمة

فإن أمتنا نحن متوجة تحت نير الرومانيين الباطل وولاتنا مقيدو

للحرية يؤدون الجزية صاغرين فضلاء عن المساوي والظلم والغشم التي  
يصلون الرعاية بها فعلى فرض أن رومية منحتنا استقلالاً وحرية فهل  
ترجو العدل والمساواة من هؤلاء الطغاة ؟

— قال لا نؤمل أن يعاملونا بالخير

— إذاً لا أمل لنا في ماتوقمه صابراً

— قال الرجاء موجود في الملك ابن داود

— وعلى تقدير أن ابن داود هذا يعبد في ملكه ويورد

الرعية مورد الراحة والسعادة فلا يفعل مثله أعقابه وخلفاؤه فإن داود  
عدل وسليمان حكم وراحبعام ظلم وغيرهم غشم ونبد شريعة الله وكفر  
به وعبد الاوثان

— قال ان ذلك الملك المزمع أن يملك لا يموت بل يحيا الى الابد

— إذاً ليس هو انساناً بل ملاكا

قال ليس انساناً (محضاً) ولا ملاكا

— إذاً هو الاله

فأطرق الى الارض ثم رفع رأسه وقال ان أجبتك أنه الاله  
فستقول لي أن الله لا يراه أحد وان شرحت لك صفاته تزداد تعجباً  
ولكن المستقبل سوف يريك من هو ويمتلك بملكه ويملك أحد  
أنصاره والقائمين بدعوته

— وأنت أيضاً ؟

قال أنا سأراه فقط وأسير في سبيل جميع الناس قبل أن يجلس

على كرمي داود

وعند هذه العبارة استوقفته ثم أخبرته عما صادفته في شوارع بيت لحم شاكياً قساوة سكانها

قال من يعلم ربما كانت الفتاة حاملاً بملك إسرائيل الجديد فإن كانت هي فسنأطلق إلى أورشليم وأنظر قدمه إلى الهيكل وأعاقه كوعده لي ثم توجه إلى جده آدم وإبراهيم واسحق ويعقوب وأبشروهم بولادة شهوة جميع الأمم ورجاء إسرائيل

وما كاد ينتهي من عبارته حتى سمعت ضجة في الخارج فظننت أن الحراس التقوا بلصوص فتركتهم وسرت مسرعاً لكي أجتلي الخبر ولم أخط قليلاً حتى وجدت الحرس يسوقون جماعة بالضرب والأعظم ويقولون لهم أنفضوا غبار السكر من رؤوسكم كفاكم خلطاً وجنوناً

أما أولئك الأفراد المعتقلون فكانوا يضجون ولا يبالون بذلك الوعيد والتهديد

وبينا أنا أسير الهوينا حانت مني التفاتة إلى الرجل الغريب الذي كان ينشد مأوى له ولامرأته فسألته قائلاً عسى أن تكون وجدت مكاناً لجأت إليه ؟

قال وجدت مقارة

— الحمد لله على ذلك أرغب اليك أن تجميعني عن سبب

اعتقال هؤلاء الرجال

قال ألا تسمع ماذا يقولون ؟ اقترب قليلاً واسمع فاقتربت وإذا أحدهم يقول اني أبشركم بأنه قد ولد لكم مخلص هو المسيح الرب المنتظر

— من أين علم هؤلاء بذلك ؟

قال كانوا قبل برهة يحرسون حراسات الليل على غنمهم في القفر فأشرق عليهم نور من السماء وكلهم ملاك بمثل العبارة التي سمعناها من أحدهم وأعطى لهم علامة لتأييد كلامه وقد وجدوا كما قال لهم ثم رأوا معه جمهور ملائكة يسبحون الله

فتذكرت حينئذ كلام الشيخ سمعان وقلت للتكلم لم يبق في احتمال للكلام عد بنا أرني أين ولد الماسيا ان كنت تعرف المكان

قال أعرفه جيداً وسأريكه غير انه يلزمني أن أقف أولاً على مايجل هؤلاء الرعاة المتهمين بالسكر والجنون ظلاماً

ولم ينته من كلامه حتى أقلت واحد منهم بسرعة وهو يقول اني ذاهب إلى أورشليم لأوقظ الكهنة وشيوخ الشعب وأبشروهم بولادة شهوة الآباء والأنبياء فضرب النفير ليدعو أحد الفرسان لكي يقتص أثره وكانت الظلمة شديدة فترجح لدينا أنها تحول بينه وبين ذلك الراعي لكن كان فراره سبباً لزيادة التنكيل برفقائه وشدة

الاحتفاظ بهم وطرد الناس من أمامهم وورائهم

ولما لم تبق لنا وسيلة أو حيلة للوقوف على كل مايجل بهم من

المصلب عاد بي الى حيث ولد الماسيا فبلغنا مكاناً فأوحى اليه قطعان  
البقر والغنم فأمسك بيدي وسار بي بين نهاء الغنم ويعار المعزى  
وخوار البقر حتى بلغنا باب مغارة فلم أعد من ثم محتاجاً لقيادته لان  
نوراً كان ينبعث منها الى الخارج فنزلت خلفه على ضوء ذلك النور  
الساطع ولما أدركت الاسفل شعرت بروح جديدة قد انبعثت في  
جسمي واعتراى الفرح المزوج بالخشية والاهابة والخشوع ولم تعد  
ركبتاي تحتلان وقوفي فخررت على الارض ساجداً وصرخت قائلاً  
لقد سمعناه في افراة فلندخل مظلته ونسجد في المكان الذي  
قامت فيه قدماه (مز ١٣٢ : ٦ و ٧)

«٦» ثم وقفت وحانت منى التفاتة الى يميني فوجدت مفوداً  
وامراً يقرب منه تفسر هيئته عن الكمال وتلوح على طلعتها الى قار  
والاجلال وفي حضنها طفلاً ينبعث من وجهه الانيس النور . فأومأ  
اليه يوسف بأصبعه وقال لي هذا هو محط رحالك وموضوع آمالك  
وهذه هي مريم ابنة داود والدته السعيدة التي لم تعرف بحبله رجلاً  
ثم جلس بجانبها وأجلسني معه وأخذ يقص عليها ما حدث للرعاة  
ولما أتم روايته قالت مريم لا ينالهم الشر ولا يدركهم الضر فسرى  
عناية الله بهم ظاهرة

قالت ذلك والتفتت الى الطفل وناجته قائلة : لقد ارتضيت  
أيها الابن المولود منذ الازل أن تولد مني الآن . الآب يدعوك  
ابناً له لانك ولدت منه وأنا أدعوك ابني لاني ولدتك وأنت واحد .

ميسلادك الاول عجيب وأعجب منه الثاني . لا أطلب لك أمماً في  
السماء ولا أباعلي الارض . أحاط بك البطان وأنت تملأ السموات  
والارض . يضمك المذود والحضن وحضن أبيك السموى ولا يسعك  
الفضاء والفراغ . أخدمك هنا وفي السموات تقدمك الملائكة .  
أحذق بك وأمسك بارادتك وبحجب السارافيم أعينهم من النظر  
الى عظم بهائك : أسقيك لبن ندي لانك جائع وأنت الذي تمنح  
الحياة والقوت لكل ذى جسد (عن السروجي بقصر ف)

وما كادت مريم تختم نشيدها هذا حتى سمعنا وطء الاقدام  
خارج المغارة نفقت قلوبنا وتغير لوت وجوهنا واعتراى الفزع  
فسكنت مريم روعنا قائلة لانها قال لان الرعاة أفلتوا من ايدي الحراس  
وقدموا اليها . ولم نلبث برهة حتى دخلوا المغارة وابتدأوا يقصون علينا  
كيف نجاهم الله من الضيق قائلين

بعد أن خرجنا من هنا طفنا أزقة القرية نتأدى ونكرز ونبشر  
بولادة المسيح فاعترضنا الحراس وقبضوا علينا وغلوا ايدينا بسلاسل  
من حديد واستاقونا كأننا سكارى ماعداً أحداً قد أفلت من  
ايديهم وفر هارباً الى اورشليم لكي يبشر اهلهما ولما وضعونا في السجن  
مكبلين ومثقلين بأغلال الحديد تذكرنا يوسف حين كان مسجوناً  
بمصر ودانيال في جب الاسود والثلاثة فتية حين ألقوا في أتون النار  
ويونان في بطن الحوت وشرعنا نصلي ونستغيث بالمسيح ثم ختمنا  
الصلاة بهذا النشيد



تمجد الرب القدير  
 ترفع الصوت الجهر  
 جاءنا المسيح حقاً  
 اقبلوا الانجيل سحراً  
 قد رأينا اليوم طفمة  
 مجداً لاله قالت  
 بيت لحم ذى الحفيرة  
 قرية داود الصغيرة  
 ولدت رب المسكونة  
 وما كدنا نحتتم هذا النشيد حتى سقطت السلاسل من أيدينا  
 وافتحت لنا أبواب السجن من فماتها فخرجنا منه ونحن غير مصدقين  
 بالنجاة من شدة الرعدة التي اعترتنا  
 وبنناهم في هذا الكلام واذا برفيقهم الذي ذهب الى اورشليم  
 قد حضر وما سلم حتى تكلم قائلاً  
 ان العاصمة أمست في شغل شاغل وهم متواصل بخصوص ولادة  
 الماسيا لان مجوساً ثلاثة من ملوك المشرق سكان الغربة السعيدة  
 واقفوا الى اورشليم ونزلوا ضيوفاً في بلاط هيرودس الذي لما سأله أين  
 هو المسيح المولود ملك اليهود لاننا رأينا نجمة وأتينا لنسجد له اضطرب  
 من هذا النبأ وجمع كل الكهنة وكبار الامة ومفسري الكتب  
 المقدسة وسألهم عن المكان الذي يولد فيه الماسيا فأجابوا معاً  
 (بيت لحم)

وما انتشر هذا الخبر بين أولئك البشر حتى قامت له المدينة  
 وقعدت وما عدت نجد اثنين يتحدثان بغير ذلك وقد مررت على  
 باب رواق سليمان فوجدت جماعة يتجاورون منهم من يكذب وآخر  
 يصدق فلما رويت ملامحته وعينته اندعروا وكان البوليس السري  
 منتشرأ في كل تقطة بخلاف كل ليلة فانبرى لى أحدهم من بين ذلك  
 الجمع وقبض علي قاصداً أن يقودني الى البلاط فاحتلت عليه بدعوى  
 أن هيرودس الآن غارقاً في سمة النوم واني غداً آتية في هذا المكان  
 لنذهب معاً وأنال الجائزة عن ذلك

وبهذه الوسيلة نجوت من يده على أي تأكدت من جهة  
 أخرى أن النوم طار من رأس هيرودس وما عاد يهناً بأكل أو  
 شرب وطرد من بلاطه المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات  
 وأبعد عنه الملاهي وشمله الحزن  
 ولما آتم كلامه قل الرعاة بعضهم لم يبعثوا بنا الى القفر  
 لنتعاهد الاغنام ثم انطلقوا



ففرحنا ولما وصلنا الى تلك الحظيرة وجدنا فيها جمالا  
 كثيرين من كرم قريب وعجيب وعيدا يحرسها فقال لي حينئذ  
 من اين ان الجوس اتوا من طريق آخر على هداية النجم  
 ليتمنا انه ارشدهم وقادهم الى هذه البلاد وهكذا دخلنا المغارة  
 بين شك ويقين فلم نجد فيها غير مريم والماسيا لكن رأينا المنود  
 ملاكاً من صفائح ذهب واكياس تنتشر منها رائحة اللبان والمر  
 فجلسنا صامتين منتظرين ان نسمع من مريم شيئاً جديداً وخبراً  
 مفيداً ففهمت ذلك وقالت بعد ان خرجتم بساعة انتشر نور ساطع  
 في المغارة بشكل نجم وعقيب ذلك سمعت هدير جمال وبعد برهة  
 دخل المغارة ثلاثة رجال يمسك كل منهم وعاء فألقوا الاوعية على  
 الارض قدام الماسيا وخرّوا ساجدين بخشوع وخضوع ودموع  
 وقلوب مثنى وثلاث وجلسوا صامتين وقد انتشر البشر والايناس  
 فيهم ثم فتحوا الاوعية وأخرجوا منها هذه الصفائح الذهب  
 والقوالب اللبان وهذا المر ولم أكن أحسن قبل هذه الاوتة  
 لغة العربية فأوتيت معرقها وفهمت من كلامهم عبارات  
 يصوم لابني مقدمين له الذهب جزية واللبان عبادة والمر لتضييق  
 جسمه به فسألهم عن جنسهم وبلادهم فقالوا نحن أمراء العربية  
 السعيدة المشهورة ببلاد سبا فتذكرت نبوة أبي داود في (مز ٧٢)  
 ملوك سبا وشبا يقدمون هدية

ومما زادهم عجباً ودهشة جوابي لهم حين سألتني عن هوأبو

## الفصل الثاني

(١) مجيء الجوس (٢) الشرايط على المسيح

« ١ » قال الراوى بعد أن انطلق الرعاة الى القفر انطلقت  
 أنا أيضاً أقتص أثر الشيخ سمعان لا بشره بأني قد وجدت الماسيا  
 وآتى به لكي يسجد له ويشكر الله الذي أنجز ما وعد به للاباء والانبياء  
 كما فعلت أنا فخاب سعيي إذ وجدت ذاك الفندق موصداً ولم أكن  
 أعلم أين منزله فالتزمت أن أعود على أثرى وما كدت أن أجلس  
 تجاه مريم ويوسف والماسيا حتى حضر جماعة آخرون من الرعاة  
 ويدهم هدية أقساط ملائكة من اللبن والسمن والخبز فتناول يوسف  
 من يدهم الهدية ولما رأوا أننا شاعرون بشدة برد تلك الليلة فظنوا  
 أن الماسيا شاعر بذلك أيضاً فجمعوا عصيهم وكبروا صراخاً وصرخوا  
 فنفينا (عن خطبة عيد الميلاد لايليا مطران صهيون) وقد فهمت  
 المنعاه التي لم ألق الطعام تلك الليلة وكذلك صرخت امرأة  
 يغلى اللبن ففلا فتناولنا منه حاجتنا وهكذا قضينا الليل ساهرين  
 وفرحين ولما طام النهار خرجنا الى خارج المدينة نترقب مجيء  
 الجوس ووقفنا على الطريق المؤدى الى اورشليم مسافة ثلاث ساعات  
 حتى مللنا وفرغ صبرنا فظننا أن هيرودس أعاقهم ذلك النهار عن

الملك لا يرى وانه لا يرى  
عجبهم أنهم لا يدرون شيا من مبادئ ديننا النقية وعبادتنا الربية  
فيلزم أن تعلمهم يايوسف بن داود صحة الديانة والناموس والانبياء  
مقابل معروفهم لنا ألا ترى هذا الذهب الذي لا تنفيه الايام والاعوام؟  
ومن رأي أن تقدم لهم مجموع الاسفار التي كان الكاهن زكريا نسخها  
لى أثناء وجودى داخل الهيكل أو الاحسن أن نحفظها للماسيا الى  
حين يشد أزره ويبلغ رشده

قال يوسف : أظن أنهم لا يحسنون التكلم ولا القراءة بلغتنا  
العبرية فيحرقون هديتنا بدل أن يوقروها

قالت مريم : تذكرت أن الكاهن زكريا حدثني عن شيخ  
مسن اسمه سمعان كان في الاسكندرية لبث فيها زهاء العشرين  
وفي هذه المدة استطاع أن يتعلم اللغة اليونانية واللاتينية  
أسفلون هذه اللغة بين يهود مصر ولا يكتفون باليونانية بل يترجمون  
البطالسة تحصل على مجموعها مكتوبة باليونانية والعربية معا على ورق  
البابيروس فلنبتعها منه بثمان قليل أو كثير وتقدمها لهؤلاء الامراء  
تحفة ثمينة

قال يوسف : ليكن كذلك

قلت أنا وأين المجوس الآن؟

قالت مريم : بعد أن مكثوا حصة يعجبون من منظر الماسيا  
ويقصون علي حادثة ظهور النجم وارشاده لهم واختفائه عنهم حين

را من اورشليم وتقليد أسلافهم انه يكون علامة ولادة ملك  
تسبده له كل ملوك الارض وتؤدي له الجزية وتعترف بسيادته وسلطته  
انطلقوا الى السوق ليبتاعوا لهم زاداً  
قال يوسف : لو استوفقوا عن الذهاب برهة لقمنا لهم بواجب  
الضيافة لان لهم علينا حقها

قالت مريم : حاولت ان أستوفقهم فلم أستطع الى ذلك سبيلا  
ولكن منذ الآن فصاعداً يلزم أن تؤدي لهم كل ما يجب لهم علينا  
وبينا نحن صاغون الى حديث مريم الرقيق واذا المجوس أتوا ودخلوا  
المقارة فوقتنا لهم اجلالاً وتعظيماً وحيثناهم بالسلام والابتسام ولما  
جلسوا قال أحدهم أن غرضنا من احتمال مشاق السفر أن نعقد  
مودة مع الماسيا وهو في المهد ونكون له انصاراً ونحن وقومنا متى شرع  
يخرج أهل الارض ويخضعهم لقضيب ملكه

فتبست مريم ضاحكة وقالت : تستحقون الشكر على هذه  
المواطف والحاسات والنوايا السليمة غير أن الماسيا لا حاجة له الى  
مثل ذلك

قالوا كيف لا حاجة له الى الانصار ونحن نراه ليس هو ابن  
هيرودس ولا ابن طيباريوس

قالت : لانه لا يسود الممالك ويخضع البلاد ويدوخ العباد  
بالسيف بل بالتعليم

قالوا إذاً لا يملك كسندحاريب ويختنصر ويسود مثل دارا

وكورش وسبزوسترير والاسكندر وقيصير

قالت : الفرق عظيم بين ملك ابني وملك أولئك لان ذاك  
روحي لانه لا نهاية له وهذا بالعكس

قالوا : من أين تعلمين ذلك ؟

قالت : من الملك الذي بشرني بالحبل به لانه قال لي انه (ملك)  
على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية (لوقا ١ : ٣٢)  
قالوا : اذا لا يتجاوز سلطانه حدود اليهود

قالت : بما أن ملكه روحي ولا نهاية له فلا يمكن ان يكون  
مكان واحد لانه يستولى على حواس الملوك والجنود والجميع  
قلوبهم وطلعتهم لشريعته الالهية كما قالت (لوقا ١٧ : ٢٧)

(٢) ولم يكن يعلم المجوس من أمر الانبياء شيئاً فظنوا أنهم  
كالسحراء والمنجمين والعرافين والمشعوذين وكهنة الاصنام الذين  
كان يتوهم العرب والسريان واليونان في الجاهلية أنهم يعرفون  
الحوادث المستقبلية ويخبرون بها

ولا يظن القارىء أن شعور المجوس بأن ظهور ذلك النجم يدل على  
ولادة الماسيا هو نتيجة أولئك المشعوذين وانما هو تقليد كان منتشر بين  
شعوب الشرق الذين أحدهم العرب المستعربة الذين تقلدوا عن اسماعيل  
آبيهم وهذا تقليد طبعاً عن آبيه ابراهيم الذي قال الله (ويتبارك بنسلك  
جميع الامم) وابراهيم تقلد عن نوح على حسب النسخة العبرية أو سام ابنه

وأخذ عنه ونوح تقلد عن قينان بن شيث بن آدم (ان نسل المرأة يسحق  
رأس الحية)

قال المجوس أن انبياءنا لم يخبرونا بمثل ذلك وانما أخذنا عنهم  
وعن أسلافنا ان الشرق بأمله سيخضع لك من العبرانيين ألا  
تدري من ماذا أجاب كاهن صنم بملك اسكندر المكدوني حين سأله  
عن ملكه في ملكه الواسع ؟ فقال له : ان ولدآ عبرانياً يهلكك في  
ملك (الركن الرابع من منارة الاقداس لاغر ينوريوس أبي الفرج  
ابن العبري)

قالت مريم : ان أقوال كهانكم تحتل الصدق والكذب معاً  
فلا تصدقوا ولا يصدقون الا في الحوادث الممكن الاخبار بها من  
روايت الاحوال لان ارواح الشر المحدود علمهم التي تلقنهم (ان  
صحت دعواكم والافهي تحت الريب) لا تدرك الحوادث المدفونة  
في عالم الغيب المحفوظة لعلم الله فقط الذي لا يحل في صنعة الايدي  
ولا يسكن الا في القلوب المتواضعة النقية والهياكل الروحية التي  
لا تتدنس بارجاس الامم وعبادتهم الاصنامية الممقوتة

قال المجوس : اعتدنا أن نعول كثيراً على أقوال كهاننا ومن

دأبنا ان لا نفتتح حرباً دموية الا بعد استشارتهم واستخارتهم

قالت مريم : انكم في غرور لا محالة أتجهلون كم انخدع من

ملككم بفرأية الكهان وخديعتهم فضلوا وذلوا ؟ وحسبكم شاهداً

على حديث لسكريسوس ملك سريديس يوم أرسل وفدآ الى كهان ذلتي

يستشيرهم ويستعلم منهم عن نجاحه في الحرب التي قصد أن يفتتحها مع الفرس فاغتر بجوابهم المعنى وكلامهم المبهم الذي يحتمل معنيين نجاحه وخذلانه معاً بقولهم له (إنك يا كريسوس إن فتحت الحرب استب دمار مملكة عظيمة .

وهذا الكلام يقتض أن يكون كريسوس قد أخبرهم بالحوادث الحاضرة وأما الاحوال ولكن ماذا كانت نتيجة هذا الخبر الذي كان قد أتى من طالمة السعيد وقوله الحسن لئانه واعتد عليه واستبشر ملكه بدمار مملكة الفرس فقد خذل وأسر في الحرب ودمرت مملكته (عن هيرودوتس)

قال المجوس : لا بد أنك تتدكرين أن كاهنة ذلتي قدرت أن تعرف بعرافتها ما كان يفعله كريسوس في قصره مع ما بينهما من بعد المسافة إذ قالت للوفد ( أني شممت رائحة سلحفاة تشوى مع لحم الخروف في خلقين من النحاس غطاؤها من نحاس أيضاً )

وكان كذلك أيضاً لأن كريسوس الذي عين يوماً مخصوصاً لرساله يتمخون فيه الكاهنة لمعرفة النسيب وسألونها عما يفعله في ذلك اليوم ففكر أن يعمل فيه ما لم يخطر على بال أحد أو يكن في حسابه فأخذ سلحفاة وخروفاً وقطعها بيده قطعاً وطبخها في قدر من نحاس

قالت مريم هذه القصة على فرض صحة الخبر لا تشبه ما كان أكثر ما قلته وهو أن الشيطان إذا كان يدبر الكيان حقيقة فلا

يفتحيهم بأكثر ما يصل اليه علمه من الحوادث الحاضرة وأما المستقبل فلا يعرفها غير روح الله القدوس الذي أوحى إلى من رجائنا الإقياء معرفة الغيب دون سواهم وأنا أضرب

في هذه الحالة من دولة الفرس التي ذكرناها في سياق الكلام كانت في عصر ملكة النبي لالة حقيرة مذلولة خاضعة تؤدى الجزية صاغرة لملوك رومادى وما كانت توجد قرينة في زمن النبي تدل على أن هذه الالاية يأتى زمن يرتفع فيه شأنها وتسود على غيرها كما حدث ذلك بعد بمائة سنة ولكن نبياً أخبر به بالروح القدس كأنه كان شاهداً له وبلغ من قوة نبوته أن عين اسم الشخص الذي كان مزماً أن يحرر الالاية من عبوديتها ويكون على يده فتح الممالك العظيمة فقال : ( هكذا يقول الرب لمسيحه الكورش الذي أمسكت يمينه لأدوس أمماً واحقاء ملوك أهل لافتح أمامه المصراعين والابواب لا تغلق أنا أسير قدامك والهضاب أمهد اكسر مصراعي الحسن ومعا ليق الحديد اقصف وأعطيك ذخاير الظلمة وكنوز الأرض لكي تعرف اني أنا الرب الذي يدعوك باسمك لقبتك وانت لست

(اش ٤٥ : ١-٤)

قال المجوس بماذا يمتاز عندكم أيتها السيدة النبي الصحيح النبوة بخلافه سيما عن باقي الناس

قالت المدراء بجملة أمور ( احدها ) العفة والطهارة فلا يمكن





سنة سني السبي وجعل مقابل كل سنة أسبوعاً من السنين

ثانياً لو كان المراد بها أسابيع أيام لصرح بذلك كما في النبوة الحكومة الرومانية فلم يخطر على بالها احصاء كل فرد من أفراد رعاياها في عشرينه ووطنه لما اصدرت تلك الاوامر بذلك (١٠: ٣ و ٢)

ثالثاً ان المراد بالاسبوع عند اليهود سبع سنين كما قال لابن لابن أخته يعقوب (أكل أسبوع هذه فتعطيك تلك أسبوعاً) ولما لم يصرح بالاسبوع سبع سنين

(٢٩: ٢٧) ومعلوم أن المراجعة بالاسبوع سبع سنين هو واضح من سياق الكلام

وتأييداً لهذا الاصطلاح عند اليهود قال لهم مريم (هي مرة بعد قليل فازلزل السماوات والارض والبحر واليابسة ساجدا عليهم) حينئذ تستولوا الايام على كل واحد منكم

وانتم في ارض أعدائكم حينئذ تكللهم في سجونكم في مكنتكم عليها أيام وحشتها تسبت فلم تسبت من سجونكم في مكنتكم عليها

(٢٦: ٤٣ و ٣٥) ومعلوم أن المقصود بالسبت في هذا الكلام أسبوعاً من السنين كما هو ظاهر من (لا ٢٥)

ثم أشارت مريم الى يوسف قائلة خذ سفر ميخا واقرأ من أول الاصحاح الخامس

فأخذ السفر وقرأ ما يأتي (وانت يا بيت لحم افراثا انك صغيرة في ألوف يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون مسلطاً على اسرائيل وخروجه من القديم منذ الازل) (٤: ٧)

قالت مريم لله جوس قد تم الآن هذا الان كما نرون ان المسيح في بيت لحم بحسب كونه انساناً واما بحسب كونه الهاً فولاده من الابن

في بيت لحم بحسب كونه انساناً واما بحسب كونه الهاً فولاده من الابن

أزلية لا بد لها وانظروا كيف ان العناية الالهية حركت لانتماء هذه

النبوة الحكومة الرومانية فلم يخطر على بالها احصاء كل فرد من أفراد رعاياها في عشرينه ووطنه لما اصدرت تلك الاوامر بذلك

ولم تصدر اوامرها لما اضطررنا ان ننقل من الجليل الى هنا بل

لما اصدر داود فما اعجب هذه الاتفاقات

ثم قالت مريم يا يوسف بن داود اقرأ لهم نبوة حجي من (ص ٢)

محمد البيت الذي بناه زر بابل الوالي فقرأ كما يأتي

(هي مرة بعد قليل فازلزل السماوات والارض والبحر واليابسة يقول كل الامم ويأتى مشتهى كل الامم فاملاً هذا البيت مجداً

رب الجنود الى الفضة ولى الذهب يقول رب الجنود مجد هذا بيت الاخير يكون أعظم من مجد الاول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود (حج ٢: ٦ - ٩)

قالت مريم طمعاً تجهلون سبب هذه النبوة لانكم لا تعرفون من أحوال أمتنا شيئاً لبعد بلادكم عن بلادنا

فاعلموا أن أمتنا كانت نبذت ناموس الله وأسخطته فبفضها وسلط عليها ملك بابل فسيهاها واخرب بلادها وبالاخص أورشليم

فهيكلها المجيد الذي عمره وزانه بأفخر الزينات الملك سليمان بن داود ان موضوع افتخار أمتنا واعجابها أما أهل بابل قد أنزل الله

الضربات والتكبات جزاء كونهم لما تسلطوا على قومتهم

برحمتهم ويرقوا لهم ويرثوا للبلوهم ولم يعتبروهم أمانة مودعة عندهم



اليوم الافتقاد والرحمة بل ذلوم وعاملوم بالتسوى واستعبودهم  
حق قيض الله لهم كورش الفارسي وانتقم لهم من اعدائهم اضحافاً  
واكرم أمتنا ومنحها هبات وعطايا وامر ان تعود الى بلادها وأن  
يبني الهيكل والمدينة

فلما بنى الهيكل لم يرق فيها من قبله من قبله  
حينئذ بمنظر فخامة الهيكل الاول الذي كان قد  
ويترنون الرماد على رؤوسهم حتى يمسوا على رؤوسهم وارسل لهم  
النبي حجي يعزيهم ويخبرهم ان مجد هذا الهيكل الحقير في اعينكم  
يكون اعظم من الاول الذي كان يزينة الذهب والفضة فقط أما هذا  
فيزينه مجد الماسيا الذي سيراه العالم فيه ماشياً ومتردداً ومعه أفاعلا  
العجائب وموزعاً مواهب الاشفية هو وتلاميذه

فما اجهج ذلك اليوم الذي يقف فيه الماسيا مخاطباً الشعب  
يدعوهم الى قداسة السيرة وينذرهم بقرب الملكوت بل ما أفرح  
ذلك المكان الذي يطاه بدميه ويقف فيه واعظاً والجوع من وراءه  
وامامه وجانيه ترى وتسمع وتعطي المجد لله

## ❦ الفصل الرابع ❦

(١) العائلة المقدسة في الهيكل

(٢) في البرية هاربة الى مصر

(٣) قتل الاطفال

(٤) وقد اطالت مريم الكلام والشرح في هذه النبوة  
ما حتى مل من السماع احد المجوس وانفرد الى ناحية وتوسد  
بينه ونام وبعد مسافة ربع ساعة استيقظ مذعوراً وقال لرفيقه هلم  
بنا نستعد للسفر قبل ان يدركنا الضرر من الحضر

فبهت رفيقه من كلامه واعتري جميعنا ذهول ولبثنا صامتين  
كان الطير خيم على رؤوسنا ثم وقف وهياً للخروج واوماً الى  
رفيقه فبعاه وخرجوا معاً وبعد غياب مدة ساعة عادوا الينا ونحن  
نراقب حركاتهم وسكناتهم وقبل ان تستقر اقدامهم دنوا من  
الماسيا وسجدوا له وقبلوه والدموع تندفق من آفئهم ثم تناولوا يدي  
والدته وقبلوها مشى وثلاث حاولنا ان نقف على ما تكنه ضمائرهم  
فدخل الى ذلك

ولما خرجوا أمرتنا أم الماسيا ان نشيعهم الى خارج بيت لحم  
فما معهم مسافة ولما قصدنا العود دنا أحدهم من يوسف وهو  
أشار عليهم بسرعة السفر وقال له احتفظ بحيوة ملك اليهود  
أزغاه برعائك المولى

## ساعة عشرين خطوة

فسرنا على هذا الترتيب أنا وام يسوع ثم من بعدنا يوسف ثم  
الاميا أم يعقوب وإخوته ثم اليصابات ام يوحنا

التي اقترنت من رواق سليمان أبصرت سمعان الشيخ الذي  
مر بنا ذكره في صحيفة ٢٦ يتمشى فيه منتظراً مجيء الماسيا فما  
حدثني بي حتى اغرورقت عيناه بدموع الفرح وطفق يضحك مسروراً  
رافعاً عينيه مرة الى السماء وشفاه تتحرك وأخرى الي حتى  
اقربت منه فدخل قدامي الهيكل وأنا اتبعه فلما سرت بضعة خطوات  
رايت بجانب مذبح خبز الوجوه عجوزاً تشكر وتبارك قالت لي  
الشيخ وقال لي هذه حنة النبية قد صار لها أربع وعشرون سنة لا تقارن  
هذا البيت تعبد الله يا صوام وصلوات وقد احست بالهام بمجيء الماسيا  
فدعاها قائلاً: افرحي يا اختي ابنة اسرائيل قد تمت مواعيد  
ملك اليوم نرى شهوة كل الامم منذ الآن يكون مجد هذا البيت  
من مجد البيت الاول لان الله يعطي السلام منه لكل الامم  
التي اتية: اتي اتيه عجبا واختال ثوب الفخر مع بنات جنسي  
خرج من نطفين من سحق رأس الحية القديمة

وما امت النبية كلامها حتي وافت ام يسوع وعلى أثر دخولها  
دخل الباقي وكان ذلك وقت قريب ذبيحة الصبح حيث كان قنار  
الذبيح يختلط مع دخان البخور واصوات تساييح أولاد هرون  
يرتفع الى السماء

ثم ودعناهم ولبثنا في مكاننا برهة فمدق انظارنا بهم وببل ان  
يتخذوا في مسيرهم طريق اورشليم اتخذوا طريقاً أخرى ولما غاوا  
عن نظرنا عدنا الى المغارة واخبرناهم انهم قد اتوا الى  
القدس وقالت اذنا قد اتينا الى القدس فاستدعانا  
بغير علم هيرودس الطاغية لئلا يشك فينا فاستدعانا  
وجوده

قلت الاولى بنا ان نغتنم الفرصة ما أمكن ونهرب بالماسيا ونجد  
في أثر الجوس نطلب حمايتهم ونستجير بهم علنا نجد عندهم مأمناً وملجأً  
قالت مريم لا تقدر أن تحرك ساكناً بدون ارشاد الروح  
القدس فله عناية خصوصية يا وليائه كاهنهم ولوط واسحق ويعقوب  
ويوسف وموسى وابوب ودانيال في أضيق مسالكهم وويج من  
أجلهم ملوكاً قائلاً (لا تمسوا مسحاتي وبانياني لا تمكروا) وهو تعالى  
قادر أن ينقذ ابنه ولو كان في سجن هيرودس

ألا تتذكر نجاة الثلاثة فتية العجيب من أتون النار فان كانت  
غاية الله أن نلث في اليهودية فلماذا لم يخلصنا من أيديهم  
لنا مسرتة. وانما الواجب أن نلث في اليهودية لئلا نكون  
نفس هذا الكلام في أمينا في اليوم الذي نلث فيه  
ذكرنا نحن الصبي ودعاه يسوع ويوم ختام الاربعين يوماً منذ  
الولادة انطلقنا به الى اورشليم ونحن في رعب خائفين أن يفشو  
أمرنا فانطلقنا أن ندخل المدينة منفردين يكون بين أحدنا والاخر

مرم لاتبك يا ولدي تأمل ما وعد به ابني شعبه ( اني اقيم مظلة  
خلود الساقطة وما هدم منه أبنيه واجدده ) فكفكت العبرات  
على سماع هذه العبارات

ولما صرنا على مقربة من قبر راحيل افرق منا الراي زكريا  
والصبايات واخت أم يسوع التي هي مريم كلاوبا أم يعقوب ويوسي  
ويهوذا ( اخوة يسوع )

وما مرنا قليلاً بعد ذلك حتى صادفنا قطع غم فاحتلب الراعي  
ضرعاً وقدم لنا اللبن ضمن قسط فتناولت مريم القسط منه وباركت  
على القطيع ثم سرنا وبعد مسافة قليلة بلغنا المغارة ولبثنا ننظر يوسف  
( ٢ ) لم نلبث مقدار ساعة حتى ادركنا فدخل بلهة وقد قرأنا  
من حياه شيئاً جديداً بدون أن يعلننا به

على انه ما صدق أن ارتاح من مسافة الطريق حتى اخرج من  
شجرة دنانير وطلب الي أن اشترى بها ركوبة وطعاماً للسفر  
ونصفاً في طريق غرة والعريش وقال الحذار من التأخير

فادركت على الفور سر قلقة وخرجت مسرعاً وفي أقل من  
نصف ساعة اشترت كل ما هو لازم وسرت اعدو مريداً ان  
أدرك العائلة المقدسة لكي لا ادعها تتعب من المشي على الاقدام  
وما سرت قليلاً حتى لاحتها عن بعد ثم توارت ولم أعد اراها  
حتى اقتربت منها لانها كانت نظن اني عسكري مرسل من قبل  
الطاغية للقبض عليها ولما آمنت مني ظهرت

قدم الشيخ سمعان وطلب مني ان اكون معه  
ملتصاً أن يحمله من رباط الجسد ثم قبل علي فبكوت من امره فلما  
يلحق والدته من النكبات والاحزان وتعلمت حنة وتناولت الطفل  
من يد الشيخ وهي تذرف عبرات الفرح وتكلمت عن مستقبل  
ملكوته وعما يصادفه من العراقيل والمقاومات

ثم لبثنا مدة في الهيكل الى أن أعطنا الفروض فخرجنا من  
الهيكل ولما بلغنا باب دار الامم تذكرت الشيخ فوقفنا فاقش عليه  
بين المارين ولما اجتاز الجميع ولم يكن بينهم ظننت أنه تخلف عنده  
النية فعدت الى الهيكل بسرعة واذا به واقف أمام مذبح البخور  
وقد فارق الحياة فاعثمت جداً ودعوت النبية لكي تمنني بامر  
وتدعو اللاويين أن يكفونوه اذ كان قصدي ان احرك العائلة المقدسة  
فلما أدركتها دعني أم يسوع وقالت علي ان شيخنا لا يقدر

قد يرقى بالرب وطارت نفس ( ال ) فاستسلمت له  
فلا يحسن لي ان اقول ما في قلبي من حزن  
زكريا أو يوسف بن داود أن يعود اليه ولا يدعه حتى يواريه  
ترا به لان كرامة الميت دفنه

وكان يوسف بالقرب مني فاشعرته بالأمر فامثل له وعاد على  
عقبه ونحن سرنا بسرعة

وفي أثناء سيرنا مررنا على قلعة داود فالفيناها قد تداعت الى  
السقوط فتذكرت مجد ابائنا الذي عشا به الزمان وبكى فقلت

ثم ركبت مريم ومعه يسوع وسرت انا ويوسف وراءها قلت  
له ما حملك على أن تشدد علينا امر السفر ولم تدعنا ان نترود من  
معارفنا واقاربنا خصوصاً وقد صار شأن يسوع مشتهراً ومن يعلم انه  
كان هربنا به يوجب له الحطه في اعين الناس ؟

قال : ان ملاكاً وقف بي في رؤيا الليل وقال لي (قم وخذ الصبي  
وامه واهرب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك لأن هيرودس  
مرمزع ان يطلب الصبي ليهلكه ) والاعجب من ذلك اني  
وقفت امام قدس الاقداس ظهر لي طائفة من ملائكة  
بالرخيل ولا توان : وفي مثل هذه الاحوال  
الاخبار والاشرار

ثم دعيت مريم بجانبها وجعلت تهمس علي من حوادث الجليل  
تسهيلاً لقطع مسافة الطريق قائلة

: حين خرجت من خدمة الهيكل وعقد لي اكيليل الزواج  
الرابي شمعون على يوسف بن داود توجهت الى خاصته ومنزله في  
الناصره مع انه قبل ذلك خرج من في يمين العفة عن يد الرابي  
زكريا وحنه النبية وقد رضيت بالعقد لاعتقادي بكمال يوسف  
وعفته

ولما كان اليوم الخامس من وصولنا وذهب كل من للدعوى  
الى حال سبيله قلت ليوسف  
: لا اكنم عنك مكنونات الفؤاد التي دون كتمانها لغيرك

الفتاد وهي اني قد نذرت العفة ولا سبيل الى فك النذر باية صفة  
ففهم حالاً مغزى كلامي اني اريد ان اكون زوجة له في كل  
شيء ماعدا الفرشة ولذلك اندعر واجاب

( ان نذكرك هذا يا مريم مخالف لسنة الزواج يفك العهد والعقد  
الذي تم على يد محفل مقدس والتوراة وكاهن الله )

— حملك يا يوسف : ان الزواج يقترض العهد حين تجتمع  
الشرائط النسبية والاتفاق وتبادل العواطف وهذه المزايا لم تتوافر

— اتركي المزاج ان بركة الكاهن لا عظم برهان على ان كل  
شيء يتعلق بامر الزيجة قد تم ولم يبق عائق يمنع الاجماع المقدس  
— سلمت لك بقوة احتياجك لكن انا لم اقبل بركة  
الاكيليل على غير تلك النية

— ان النذر لا يحسب لك الا برضى ولي امرك  
— اي نعم وقد كان وقتئذ ولي امري الرابي زكريا  
— اعلم ان كل شجرة لا تثمر تقطع وتلقى في النار ويبقى  
اسمها للعار

— اعقل ما قال اشعياء : لا يقل الخصي انا شجرة يابسة لانه  
كما قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون  
السرني ويتسكون بهدي اني اعطيهم في بيتي وفي اسواري  
اسماً واسماً افضل من البنين والبنات اعطيهم اسماً ابدياً لا يتقطع

(اش ٥٦ : ٣) فإذا تقول عن استاذتي حنة النبية التي مضى عليها وهي ثيب ٨٤ سنة وقد تركتها في الهيكل تعبد الله باصوام وصلوات ليلاً ونهاراً

فبعد هذا الكلام سكت يوسف برهة ثم قال ما دام الامر كذلك لا اجد بداً من قبولي فذلك والله ما اريد ان يكون لي حظ في ملككم ولا اريد ان يكون لي نصيب في ارضكم واجبت شاكراً

قال الرائي فما انتهت ثم دعى اركض ليبي اركض ليبي مكاناً اريد على غرة قلت ليوسف : دعنى اركض ليبي اركض ليبي مكاناً اريد من الوقوف في ساحات المدينة وشوارعها

قال : من يعلم ان كان يعاملنا اهل هذه المدينة معاملة اهل بيت لحم يوم قدمنا اليها من الناصرة ولم يقبل احد ضيافتنا

فاجبته : ان غرة مستعمرة للرومان والعربان الذين اشتهروا باكرام الضيف

قال : اذاً اركض امامنا

فركضت ولما صرت على مقربة من المدينة ولم يبق بيني وبين

بابها سوى بضعة امتار خرج منه هجان فحذقت النظر بوجهه واذا

به أحد عبيد الجوس وبمجرد ما سمعته من الهجان انصرف الى الخلف

وعرفني فبادرني بكلمة البصر فبادرني بكلمة البصر فبادرني بكلمة البصر

فبادرني بكلمة البصر فبادرني بكلمة البصر فبادرني بكلمة البصر

فبادرني بكلمة البصر فبادرني بكلمة البصر فبادرني بكلمة البصر

قلت : ابن اسياذك ومجد اجدادك

قال : لقد ساروا من هذا الحي يطوون البيد طي

قلت : ماذا اعاقك عن السفر يا ابا الفخر

قال : معالجة دائي الذي هو اكبر اعدائي فقد انفقت الاموال

في ارض المعصال

قلت : لقد جاء وقت الشفاء من هذا الداء

قال : من ذلك الطيب الماهر يا ابا الفخر

قلت : ذات القدس الزاهر والمجد الباهر

فادرك بسرعة خاطره اني اغني أم الماسيا وقال اذا يلزم العود

الى أم المعبود

قلت : قد صارت على مقربة منا ومعها يوسف وقد سبقت

لاعد لها مكاناً فتعال ارشدني الى موضع

قال : ماذا حملها على الخروج وركب السروج

قلت : الخوف من بطش هيرودس فان ملاكاً ظهر ليوسف

وامره بالهرب ببسوع وامه الى ارض مصر

ثم عاد بي الى المدينة وأراني موضعاً وما صدقت ان وجدت

معي فقلت على الامر لكي ارشد العائلة القدسة اليه ففعل

بحسنه وادركني فلما رأنا ام يسوع تعجبت من سرعة

الموضع واستشرت بان طريقنا ستكون سهلة

ثم جئنا معاً الى ذلك الموضع ولما أخذنا تمام الراحة قدمت

الى أم يسوع باحتشام وتوسلت اليها ان تضع يمينها على رأس المذبح  
وتباركه ففعلت وللوقت شعر بالراحة وكف الألم عنه وشكر الله  
وطلب ان يرافقنا بصفة دليل وسلام في تلك الرحلة الطويلة  
فخرجنا من بيتنا في الساعة السادسة من المساء  
وكان ولدنا ان نمك في غرة صوم يسوع المسيح  
كل وقت على السقر فسافرنا في اليوم التالي

ولما كنا مرزعين ان تقطع اربع مراحل في الصحراء او عز  
الي ان اشترى مؤنة وافرة

فخرجنا من غزة ليلاً في الهجعة الرابعة والقمر بدر والجو رائق  
والنسيم رقيق وما ابتعدنا قليلاً حتى انهار الليل وطلع النهار وبدأت  
تلعب الغزالة في الفضاء وترسل اشعتها الى الغياض والرياح وتمطي  
تلك الهضاب والبطاح المكتسية باثواب من الزهور اشكالاً والواناً  
تسر الناظر وتبج خاطر

وكنا نسير في تلك البرية سكوتاً لا نسمع غير نغمات الطيور  
على رؤوس الاشجار والصحور وعواصم الجبال والوديان  
وكان للأسيا غارقاً في سحر حيرة فلتا السيف فطني انه يهاجمي  
وأستأنفت قصتها قائلة

لم تمض بضعة اسابيع على تلك المحاورة التي جرت لي مع ابن داود  
حتى حدث ان ملاكا وقف بي اثناء صلوة الهجعة الثانية من الليل

وانا أرتل مزموذ ( الرب يرعاني ) فاستنار المكان من بهاء طلعتته  
واشتملتني سرور عظيم من رؤيته اذ كنت معتادة على مثل هذه  
الظلمة في الهيكل حيث كانت تظهر الارواح العلوية لاستاذتي  
وبعض اولاد هرون واسمعهم ينشدون الاغاني داخل قدس  
الاعدام

ولكن قد حيرني سلامه لي وكلامه بقوله : السلام لك يا ممتلية  
نعمة الرب معك مباركة انت في النساء دون سائر ربات الحدود  
وساكنات المعمور من القصور :

وزادني حيرة حين اردف السلام : بهذا الكلام ( انك تحبلين  
وفي البطن تحملين ) ما جعلني ان اشك في كوني يقظة واخل اني  
غارقة في نوم ثقيل وأرى رؤيا وما زلت اراجع ذاتي حتى ايقنت  
بما في يقظة تامة وبالاخص حين قال ( ان الولد المزمعة ان ألده هو  
الخلص هو الذي يكون عظيماً بهذا المقدار حتى انه يدعى ابن الله  
وعليك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون للملكه نهاية )

فأقول لك يا ولدي بالحق انه لم تعد في قوة للاحتمال واصبح  
مستعدي من راجع المستبيلات فقلت للملاك : كيف يكون  
هذا الخبل بلا رجل ؟

فلم يتكدر الملاك من سؤاله ولا اغتاض علي كما كان اغتاض علي  
الرابي زكريا يوم بشره بحبل زوجته ييوحنا فعاتبني بالركة والالطف  
وطول الروح وشرع يحاججني قائلاً

اللام فيما للمجب لا اعلم لذاك من سبب

قالت: اعلم يا بني اني انطلقت بعد انصراف الملاك الى الوطن والاملاك الى جبال يهوذا حيث كان يسكن الرايى زكريا في عين كرم ولم اخبر بهذا السفر ابن داود الذي لم اعد مكلفة من قبل شروط الزواج ان اعلمه بكل تصرفاتي لاني صرت له رفيقة ومن عبودية الزواج عتيقة

ما علينا بعد ان سافرت السفر الشاق بدون أن ألوي ساقاً على ساق بلا زاد ولا رفاق أدت بي خاتمة السفر الى الحي المشتهر بالزل المعبر قادهشني كلام العاقر لما فيه من المعنى الباهر فانه حامله استعيا صوت السلام ردت علي بوقار واحترام قائلة: من أين لي هذا المقام أن تزورني أم رب الأنام لأنه مذ وقع في أذني صوت كلامك ورقيق كلامك تحرك الجنين حركة سجود لمعبود وركوع لرب صيرتني أن أعلم انك حامله بخالق الأجنة فيا لوفور شرف الله

ثم أخذنا نتجاذب أطراف الحديث وننتقل من أخبار العهد القديم الى الحديث وتحدث في عظام الله وبيننا نحن كذلك قدم علينا الرايى فتبسم وسلم بدون أن يتكلم ثم صعد الى عليته فلما رأت اليصابات على محياي علامات الاندهاش لعدم مكوث الشيخ معي برهة قالت لا تعجبي يا أم الرب فان الرايى مربوط اللسان لا يجد سبيلا للنطق والبيان

(ألا تتذكرين يا صبية يوسيا جبل جليل حيث ولد لك يوسف وهو ابن تسعين سنة حين انقطع عنها عاقر النساء وان لم تتذكرين ذلك الجبل بالعجل فهوذا اليصابات نسيتك العاقر المعجوز حامله غلى خلاف المجري الطبيعي)

قالت: لا شك ان هاتين الحادثتين عجبتان لكن ليس فيها ما يناسب كلامك لان شروط الجبل فيها وان كانت ضعيفة لكنها متوافرة

قال: يا مريم اني لم اجبى. مكن جاء لجدتك حواء بشعر من الشجر بل جثتك بصدق الخبر جثتك بقوة الحجمة وصدق البيان لا بالكلام والطفين فلم تكن عصا الكليم لها قوة ان تحيي العظم المرمم ولا ان تدع مياه البحر الاحمر كالجلد او تفجرها من الصخر الصلب اعلمى يا بقول ان بشراي لا تقوى على ذلك المعجز ولا يمكن باليمان على الايمان فليكن قولك يا مريم انك حامله بخالق الأجنة فيا لوفور شرف الله ان يكون ابا المؤمنين:

اما انا يا ولدي فلم يبق لدي داع للارتياح في ان المبشر رسول رب الارباب فاذعنت لقبول المعقول وما اجبت بالارتياح حتى زالت غني الاتراح وشملتني الافراح وما صدق ان سمع مني القبول ذاك الرسول حتى تخلق في السحاب واختفى عن العيان في الضباب قلت لمريم: ذكرت في سباق الكلام ان الملاك اوسع زكريا

فزادني اعجاباً فوق اعجاب الى طلب الاسباب فقالت : قد  
أخبرني كتابة على هذا اللوح الذي ليس لنا وسيلة الى الاخذ  
والعطاء معه سواء انه ينما كان يخدم في توبته ويقدم بخور ذبيحة  
المساء ظهر له ملاك اسمه جبرائيل وبشره بما ترينه في بطني الآن  
من الامتلاء والحل الذي كنا نكثر من أجله الصلوات والتضرعات.  
فلم يصدق البشري فغضب جبرائيل عليه وحكم أن يكون آخر من  
الى ان يتم قوله بالفعل ووعدته بالتمام وما كاد الملاك ينطق بحكمه  
حتى ثقل لسان الكاهن وارتبط ثم خرج الى البيت لا يستطيع  
منطقاً ففهم الشعب انه رأى رؤيا اليه الصليبي فحدثني به الصليبي  
هذا يا ولدي ما حدثتني به الصليبي ثم حدثتني به الصليبي  
في منزلها

ولم تم عبارتها حتى قال العبد المجوسي قد أقبلنا على العريش  
أول حدود مصر فنظرت الى الامام واذا نحن على مقربة منها  
فاشتغلنا عن الكلام بمنظر أبنية المدينة وقصورها الشاهقة ورياضها  
الباسقة

فدخلنا المدينة واستأجرنا غرفة من وكالة بجوار السور لها  
نافذة منه فنظرت منها الى الطريق الذي جئنا منه واذا بخادم الرابي  
زكريا يعدو نحو المدينة فشعرت انه جاءنا بأمر ذي بال فلما اقترب  
الى السور أشرت اليه لكي يهتدي بسرعة الى مكاننا ثم أخبرت  
أم يسوع ويوسف بالأمر

ولم تمض بضعة دقائق حتى وافى الخادم وناول أم يسوع رسالة  
مختومة فتناولتها من يده وفضت ختمها وما قرأت بعض سطور  
منها حتى اغرورقت عينها بالدموع ولم تعد تقدر أن تملك اللاميا  
في حضنها فأشرت الى يوسف فأخذها منها بسرعة

فصارت الافكار والهواجس تأخذ بنا وتعطي فذنوب من  
يوسف قائلاً يظهر من كتابة أم يسوع ان الصبايات رقدت  
فقال ربما كان يوحنا لان موت امه لا يهيج في مريم هذا البكاء  
ثم تركت الرسالة واسترسلت في النحيب فما القتها حتى التقطتها  
فأثارت انفوسها بقلب يخفق واذا بها ( من الشيخ زكريا الذي وهنت  
بالبكاء وعلا غبار الهرم وجهه ودنا من ابواب الموت وعما قريب  
يؤزل الى الهاوية حزينا الى مريم في الجلاء . سلام

اعلى يا ام يسوع انه بعد اتمام فرض التطهير بيوم تلبدت  
سماء بيت لحم ونحوها بالغمام والظلام وتحول نهار سكانها  
ليلاً وليلهم جحماً وانقلب فرحهم الى حزن وفرجهم الى ضيق  
ورقصهم الى ندب واشتمل كل نفس الرعب والجزع ولبست النساء  
ابواب الحداد والسواد واتكلم اغلبهن

وسبب ذلك هو ان هيرودس بقصد ان يهلك يسوع ارسل  
جنوده وأمرهم ان يحاصروا في ساعة واحدة كل بلد من تلك البلاد  
وما قتل الخند ذلك هجم نصفهم على المنازل واختطفوا الصبيان  
والاطفال والرضعان من على اكتاف الامهات واغمدوا فيهم السيوف



فشقوا بطون البعض وشطروا طفلاً نصفين وقطعوا رأس غيره  
وضربوا به عرض الحائط ورفعوا غيره على الأسنة وتركوا الجثث  
مخضبة بالدماء

وهذا البلاء يقف دون وصفه القلم ولا يستطيع ان يدرك بشاعة  
ذلك المشهد وفضاعته الا من شاهده وقد ذهب ضحية هذا البلاء  
كثير من الحملات حين حملتهن الشفقة على اليتامى والارامل  
والزنايا الى القمار . فكانت كل امرأة منهن تترك اولادها  
وصغارها وحدها وتذهب الى القمار وتلعب وتضيع ما كان  
للمصاب لانهم حاولوا عبثاً ان يدافعوا عن اعراضهم اذ كانوا بلا  
اسلحة لحدوث الواقعة بغتة فحرمهم العسكر واذلهم والقوا كثيرين  
منهم على الارض صرعى وهكذا عمت البلوى ودمرت اغلب البلاد  
وفتك بالعباد .

اما يوحنا والدته فلا ادري ما اصابهما فانك تعلمين ان في  
منزلنا مخبأ تحت الارض تنزل اليه بدرج فلما ابتدأت المذبحة انزلتهما  
فيه ثم قفلت باب الدار وانطلقت الى ازقة البلد بأمل ان الطف من  
مصابها بما لي من الحثية في بلاط هيرودس فلم يجد مسعاً نفماً  
لان الجند كانوا يخطفون الاطفال كما تخطف الوحوش الكسيرة  
القرية وتنقض على الوالدات كاشفين لبيتهن فينقلنهم الى  
الكنيسة فلم يمتنعوا الى كريمة كاهن ولم يبرأوا من عذابهم  
والعالم يبتغي الصبر ان يفتني من عذابهم

كأرم توج في بحر بلائها وانطلقت الى اورشليم وكنت أرى ما يقشعر  
منه البدن من ربات الخدود القارعات الصدور والحالات الشعور على  
الظهور وما صدقت أن وصلت العاصمة حتى توجهت الى سراي  
الطاغية فالفيتها يداعب ابنة الكروم ويده رباب يردد أغاني الحراب  
فحاولت أن أدخل اليه من الباب لارى ماذا يكون الجواب فمنعني  
الحجاب وقال لي العسكرها هو يسكر فتركته وانطلقت الى رؤساء  
القسم فالتفتهم في مجون وجنون ولعب وهكذا عدت بصفة القبون  
نوع تنيل على الحدين من تحت الجفون

ولما دخلت المنزل دعوت الصابات فلم تجبني فنزلت الى الحبا  
فلم أجدها فخرجت وفشت عليها في غرف البيت فلم أجدها ولا  
لابنها اثرأ ومن ثم عيل صبري واعتراى الحزن فقبضت على القلم  
والورق وحررت لك هذه الرسالة بما جرى لتقاسميني حزن  
الشيخوخة وشقاها . وها أنا أختم الرسالة بين سماع زفرات الرجال  
والنساء المتصاعدة من كل جانب )

وفي اثناء قراءتي لخطاب زكريا الخاوي تفاصيل نكبة بيت  
لحم ونجومها بقتل الاطفال وسفك دماء الرجال وهتك الاعراض  
وسلب الاموال . كانت مريم قد كفكت الدمع المدرار وتجلدت  
في صبرها واورشليم وصلت وركعت ثلاث مرات ثم طلبت الى  
الكنيسة فوجدت هناك ادوات الكتابة فاحضر من السوق قطعة  
من البايروس ومداداً وقلماً فتناولتها من يده وكتبت

من أم يسوع في شتات مصر الى الرابي زكريا . سلام

لقد رمينا بسهام الحزن فادمانا وابكانا وكوي نثار الابن مؤاندا  
وشوانا وأعيانا وذلك بالرسالة التي سرديت عليك الاحبار المقدسة  
وتفصيل النكة المفزعة فتشخصت أيتها ابنة النعمة العاركة  
تلقوا الامور عشا طرباك الحزن والفرح والسرور والفرح والسرور  
ووددنا لو كنا حاضرين لحققنا من اشجانك واخراتك ووددنا لو  
ولطفنا سمير عويلك وشهقاتك وقد مثلت لنا ابا الاسباط وهو  
يندب يوسف الحبيب حين صدق انه وقع بين مخالب الذئب

فمهلاً أيها الرابي الصديق كن صبوراً على هذا الضيق فلا بد  
لرجال الله البتلين من فرج ولو اوقعهم الدهر بين القوم الهمج  
واذا بليت بنكة فاصبر لها \* هل قدرأيت مسلماً لا ينكب

وكما شاهد ابو الاسباط يوسف في مصر سوف تشاهد يوحنا  
وامه في هذا العصر فلا تظن ان العناية تركهما مع ادراج الرياح  
وتفقد بهذا الظن كل بر وصلاح بل ايقن انها على قيد الحياة لا مع  
رفات الاموات وغاية ما اعتقد ان امه الحكيمة توارت به في كنف  
جبل عال عن أعين رجال بلبعال فحس على الذين والى السلاطين

والذين والى السلاطين والذين والى السلاطين والذين والى السلاطين

فتمت هذه الرسالة وطونها ودفعها الى الخادم وزودته مؤنة  
الطريق وامرته ان ينطلق الى سيده بمجنح السرعة

### الفصل الخامس

- (١) العائلة المقدسة في مصر
- (٢) سقوط الاصنام ومؤامرة الارواح الشريرة
- (٣) جدال مريم مع اميرة في عين شمس
- (٤) رجوع العائلة المقدسة الى فلسطين

(١) وما خرج الخادم حتى قال يوسف ان هذا الحادث الفجائي  
يحملنا على سرعة السفر ما امكن فدعا العبد وامره ان يتخذ في السفر  
طريقاً غير مسلوكة ليكون في أمن مما عساه يفعل طاغية اليهود بارسال  
فرقة من الجنود لتقتني اثرنا في سفرنا . فسمع الامر طائعاً وما جن  
الليل حتى خرجنا من العريش بعد ان تحصلنا على تذكرة المرور  
يشق النفس ودفعنا كية وافرة من النقود زيادة عن المقرر وذلك  
لعدم معرفتنا بعوائد اهل البلاد

وما ابتعدنا قليلاً عن المدينة حتى مال بنا العبد عن جادة الطريق  
وصار بخط في الفيافي سائراً على هداية النجم كما هو شأن الاعراب  
في اسفارهم . ومن حسن الطالع انه قادنا في سبيل لا تعاريج فيه  
ولذلك وصلنا بسرعة غريبة الى مصر واشرفنا على غياضها ورياضها  
والمسارح والحدائق والحدائق والحدائق والحدائق والحدائق  
مخصوصاً بحيراتنا المتسعة التي رأينا اسراب الطيور تحوم كغيوم  
كثيفة على وجعها والناس بازدهام على شواطئها لشراء هذه  
الطيور من صيادها الذين يصطادونها عادة في الليل وقد حدثنا

العبد عن هؤلاء الصيادين قائلاً انهم بقايا من انسال الهكسوس أي  
للملوك الرعاة الذين سادوا أرض مصر وجعلوا قصبة الملك تل بسطة  
الآن . وفي زمانهم نزل بنو اسرائيل الى مصر ولما انقرضت وقام  
بدها دولة مصرية اذلتهم حتى افتقدوا الله بالمرحوم وخلصهم بيد قوية  
وبعد ان سرنا على سواحل هذه البحيرات مدة وابتعدنا عنها  
مسافة وصلنا الى تل بسطة حيث وجدنا بقايا مدينة عظيمة تدل  
على ما كانت عليه من المجد والعظمة حين كانت عاصمة الملك فاصبحت  
الآن كياناً واطلالاً يحتم الاعراب على خربها ويعيش اليوم  
والوطواط فيها وتأوي اليها الوحوش والحشرات وفيها آثار الهياكل  
والاصنام المحسنة والقبور القديمة المبنية من الطوب اي اللبن الذي  
كان المصريون يستخدمون اجدادنا في عمله وشغله .

وما صدق العبد المخوسي ان وجد قوماً من قبيلة يعرفها كانوا  
مخيمين فوق تلك الاطلال يرعون جمالهم واغنامهم حتى قصد ان  
نزل ضيوفاً عندهم يوماً لاختد الراحة من عناء السفر وقد قال لنا ان  
لاخوف على نزيل مصر لانها كانت ولا تزال مأوى للغريب  
خصوصاً انتم الذين يكثر من جنسهم فيها .

فعو لنا على اشارته ورضينا ان تستقر اقدامنا في ذلك الموضع  
اكثر من يوم مادام يطيب لنا المقام ونلذ النخ والعيش على شرط  
ان لانكف اولئك الاعراب مؤنة ولكن هؤلاء الذين جلبوا على  
ان يقرؤا الصيف ان وافهم في شتاء او في صيف مارأونا حتى

احضروا لنا رغماً عن ارادتنا لبناً وزبدة واسماكاً مقددة  
(٢) ولما كان من دأبي أن استطلع كل امر محبوب ما صدقت  
ان اكثرت مرياً وشربنا هنيئاً حتى انفردت عن الخيام وشرعت  
اجول بين مجاهيل تلك الآثار عسى أن أقف على سر من الاسرار  
وينبأ أنا أطغر من مرتفع الى وطاء اهتزت الأرض تحت قدمي شمالاً  
وعيناً وظلت تتأرجح نحو خمس دقائق حتى اعتراني الدوار ووقعت  
على الأرض وبعد ان عدت الى ذاتي سمعت اصوات نجيب وعويل  
ودمعة واثنين قطرق في بالي فكر ان الأرض انشقت وأبتلعت  
قبيلة العرب ولكن لم أشك في ان العناية حفظت العائلة المقدسة  
بنوع عجيب

وينبأ انا افكر بذلك وانا راجع لا فتقد الحي صادفت باباً  
سفت الزوبعة الرمال عنه وكشفته فوجدت مرسوماً على جانبيه  
واعلام اشكال اتاس وطيور وحيوانات وادوات وحشرات فعلمت  
ان ذلك كتابة هيروغليفية يستعملها الكهنة خلاف العامة الذين  
لهم خط مخصوص ولما صرت قرب الباب تبين لي أنه يؤدي الى  
هيكل أصنام قديم فما صرت في وسطه حتى وجدت ان تلك  
الاصوات كانت خارحة منه لان الشياطين حدث لهم ملاويع الرعب  
والفشل فيهم وتركوا مرا كرم واركنوا الى الفرار

ولم يسكنوا حتى انعام العويل فجعل كل واحد منهم يقص  
مصابه في غياهه فاشتد بي الشوق الى معرفة هذه الحادثة التي رأيته

مرة في حياتي ولذلك جلست في ركن صامتا

فقام أولا الثعبان القديم صاحب الغواية في البداية وجعل مخاطب  
فيهم ويخبرهم على الثبات ويحث فيهم روح النشاط والطاعة لاوامره  
في كل ساعة فاستبرقت مناظرهم وعلت أمارات الرضى وجوهمهم  
وابتسمت فخورهم وبعد خطاب طويل جلس على منبر عال كان معداً  
له ودعا أمامه ولاية الاقاليم وقواد الجيش واركان جريه فنادى  
اولا ولاية ثيبة واصوان قائلا: تعالوا يا ارواح عمون ووت وخوتس  
الذين أخضعوا بيطشهم البلاد واستولوا على رقاب العباد في كل  
واد قصوا علي ما أثار قواكم دون سواكم

فتقدم هؤلاء الولاية بلا مبالة وقالوا: يعيش الملك فوق الفلك  
اعلم ايها السيد المجيد صاحب الرأي السديد والفكر الرشيد أنه بينا  
كنا تقتل من ايدي العباد ضحايا الاعياد وقمت تماثيلنا الضخمة  
على الارض وتهشمت في كل فضاء وعرض فاندعرونا وقررونا

فلما قالوا ذلك استملهم العبوس فطيب خاطرهم وامرهم بالجلوس  
ثم دعا ارواح اوزيريس وايسيس وهورس وولاية منف وسألهم  
مثل الاول فاجابوه بان ماحدث لهم هو عين ما حدث لزملائهم  
فامر لهم بالعودة بعد السجود

ثم دعا فتاح وسخت وامنحوتف فقالوا ذلك وفي آخر الامر  
دعا النائب الملكي العام وهوروس وايسيس وكان منظره منظر ثور  
على جبهته بقعة بيضاء اشبه بزاوية وعلى ظهره صورة نسر وتحت

لسانه صورة جعل تحتها حين تقدم قدام الرئيس وصار يخور متوجعاً  
مما ألم به وكان شعر ذنبه مضاعفاً

فلم يسمع من ايبس خلاف ماسمع من كل الولاية ولذلك دعا  
بالجواسيس وأمرهم أن ينتشروا في كل مكان ليستطلعوا الاخبار  
والاسرار فخرجوا بسرعة وبعد أن غابوا مدة حضروا والاصفرار  
يعلم وجوهمهم فاحنوا هاماتهم علامة الاحترام والاكرام وقالوا  
اننا وجدنا في هذا المكان (الذي طالما تقدمت لنا فيه النذور  
والعشور) وانشرحت منا الصدور في حفلات السرور من ربات  
المخدور (فتاة راق منظرها ورقت تحتضن طفلاً ينبعث النور من وجهه  
وشكل هذه الفتاة شكل اليهود وفي خدمتها زنجى من السود  
ولما تقدمنا اليها انقض علينا ملاك كبرق خطب أو اعجب وصوب  
نحونا أسنة الحرب ونهياً للضرب فارتعنا وهربنا فلا بد ان هذا  
المولود من نسل داود الذي يتوقع اليهود ان لا يأذوا لسواه الجزية  
والسجود

قال الملك: الآن تأكد عندى كالشمس ما قاله لي قائدا التحذيف  
وسفك الدم بالامس من أن الفتنة التي اشعلنا جذوتها في نخوم بيت  
لحم من تقطيع الاعضاء وتمزيق اللحم لم تأت بالغاية المقصودة والصالحة  
المشروعة لان المقصود من سفك دمائه قد اققته ملائكة سماه  
والآن لا يرتاح لنا بال ما لم تقبض عليه كخروف ضال في أحد  
الجبال. فعليكم أن تسلكوا الطريق وات صاق الى سفك دم

الصديق قبل ان يسود الافاق

فاجابوا : نعم الراى الرشيد انها السيد المجيد ولكن على فرض  
ان خلص من القفص ماذا يكون العمل باموضوع كل رجاء وأمل  
قال : نصلي قومه بنار جامية ونثير عليهم حرباً دامية او نمزقهم  
كل تمزيق ونوقعهم في كل هلكة وضيق او نعلم رؤسهم كما علمنا  
يلعلم ان يغوروا بالتيه في دركات الظلام . قالنى كيتاً هذا الراى  
السديد كل طريق وتليد وقام للرقص والقصف والغناء والعزف  
( ٣ ) فما وقتت على هذه الاسرار حتى اركنت للفرار في  
تلك القفار وسرت على عجل بلا ملل الى حيث ام يسوع واخبرها  
بامر سقوط الاصنام فاشارت الى اين داود ان يحضر سفر اشعيا  
فاحضره ففتحته ودلني على المكان المكتوب فيه هذا النص :  
هوذا الرب يركب على سحابة ويدخل مصر فتترزل أوثان مصر  
من وجهه ويدوب قلب مصر في داخلها ( اش ١٩ : ١ ) فمجدت  
الله على انجاز مواعيده واتمام مقاصده

ومن الغد سافرنا وتوغلنا في داخل البلاد وجلبنا اماكن كثيرة  
أخصها جبل قسقام ومقارة بجوار قصر الشمع ثم المطرية وقد مكثنا  
في هذه عدة أيام جرت فيها لام يسوع محاورات مع أميرة مصرية  
كانت تعرفت بنا و صنعت لنا وليمة فاخرة وقد تعلق بمحبة البصبي  
يسوع وكانت تسر بمحياء الباسم وتغره الضاحك وطلعت المحبوبة  
وقد روت لنا مريم مختصر تلك المحاورات قائلا

ان الاميرة دعنتي ذات يوم ان احضر معها في هيكل عين  
شمس لاشاهد احتفال عيدى با كوس والزهرة من آلهة اليونان  
لان أباهما كان فيلسوفاً منهم تخرج من مدرسة عين شمس وامها  
من سلالة الملوك الفراعنة المطالين يسرير الملك

فاجبت دعوتها بقصد ان اقف على عوائد الوثنيين وأرى الفرق  
بين مجد الهنا من مجد الاصنام الخاملة فلما دخلنا قربت لصنم با كوس  
الخور ممزوجة بالعطور وصارت ترتشف منها هي والنساء حتى سكن  
ثم انطلقن الى حيث صنم الزهرة فمسكن بايدي عشاقهن  
السكنة وصرن يرقصن ويتقصن معهن حتى أعبي الجميع ثم جلسوا  
على مائدة الطعام فأكوا ما لذ وطاب وملا الاوطاب

فانقبض صدري وقلت أين زاهة كنية اسرائيل وشعبه  
الظاهر النبيل من شرهة هؤلاء الذين يظنون انهم يقربون من  
آلههم بشراهم وعربدتهم ؟

وقد عجبوا لعدم مجاراني لهم في أعمالهم ولما عادت الاميرة  
الى منزلها وانفردت بها ذكرت لها تلك الخلاعة الفاقدة الحشمة  
وشرحت لها ان ذلك ناجم عن قساد اعتقاد ذويه وعدم استقامة  
مبادئهم الدينية لتوهمهم بالوهية الاصنام . فاستاءت الاميرة من  
توبيخ مريم وكبر عليها الامر لاعتقادها بذاتها انها زوجة فيلسوف  
مطلع على غامض الحقائق فحاولت اثبات كون الاصنام الهة حية قائلا  
احذري يا مريم بطش باخوس الهنا العظيم الذي تدعين عليه

بالعدم واتقي انتقام الزهرة وغضبها ألا يكفي انك احتقرتها بعدم  
اشترائك معنا بالرقص؟

قالت مريم: أيها الاميرة الشهيرة. ايقني أن لا وجود لبا كوس  
سوى في فمك ولا خوف من الزهرة ربة الخلاعة والفظاعة الا في  
وهك فلا يشعران باكرام ولا بحسان باحتقار لانهما معدومان  
وأما الاله الحقيقي هو الاله الذي نحمل لآبائنا ودعاهم لعبادته وعلمهم  
شريعته ولا يزال يتجلى لخدمته الكهنة الامناء بالرؤى والاحلام  
والعلانية وبخطابهم من قدس الاقداس. فلو زرت معبدنا ورأيت  
حشمة خدام إلهنا لراعت قارم وفخارهم وادھشك منظرهم واعجبك  
مقرم

والفرق يا أميرة خطير بين عبادتنا وعبادتكم لا تنا نحن اليهود  
أصحب السنن المقدسة والعبود نعبد الاله الخالق غير المنظور الذي  
علا الكون ولا يرضى من عبادتنا الا اذا كانت بالخشوع والخضوع  
ويكتفي بالقلوب الخالية من العيوب

قالت الاميرة: ان با كوس حي والزهرة حية أيضاً والبرهان  
على ذلك. أنهما يا كلان يشربان ما يقدم لهما من سمان العجول  
واقداح الخمر المزوجة بالزهور والعطور في كل العصور بلا فتور  
قالت مريم: انك لفي غرور فان تلك التقديمات تلثمها الكهنة  
بشراسة ونهمة حين يكون الناس غارقين في النعاس

قالت الاميرة: اذا ثبت أن تلك القرايين تأكلها الالهة

العليين اشترط عليك ان تعبدني الاصنام كل الايام  
قالت مريم: واذا ثبت بالبرهان والعيان ان با كوس والزهرة  
لا يا كلان ولا بشر بان ماذا يكون العمل والشرط المحتمل؟

قالت الاميرة: اذا ثبت لدي ذلك أرفض ما هنالك من  
الطفيان واتبع الهك الرحمن واصير مثلك يهودية بكل صراحة ونية  
وكانت الاميرة موروثة عن أهلها قري وأباغد وعقارات  
وأملكا لا يفنيها الدهر واعتادت أن تنفق على طعام صني با كوس  
والزهرة كل ليلة ثمن خمس خرفان وقنطار من الخمر واردب سميذ  
خلاف ما تنفقه في أيام المواسم والأعياد. كل ذلك لاعتقادها ان  
الالهة تأكل وتشرب وترضى وتعضب

فلما عقدت الشرط مع مريم دعت كبار الكهنة واخبرتهم بالامر  
فأكهدوا لها أنها ستفوز بالغلبة

فسرت واعدت اضعاف ما اعتادت ان تعد كل يوم وانطلقت  
به مع أم يسوع الى الهيكل ووضعت على موائد تجاه الاصنام وكان  
من ثقة مريم ان الكهنة يأتون كل ليلة من باب سري ويلتئمون  
الاطعمة ولا يبقون ولا يذرون ولذلك قيل أن تغلق الاميرة باب  
الهيكل أمرت العبد المحوسي أن يذري رماداً فيه ففعل ثم أغلق  
الباب وختم بخاتمي مريم والاميرة وانصرفا

فلما كان اليوم التالي انطلقا معاً فوجدتا باب الهيكل كما هو  
والخاتمين سالمين ففكتهما الاميرة وفتحت الباب ولما شاهدت الموائد

خالية من الاطعمة صاحت بصوت عال قائلة عظيمة قدرة آلهتنا  
فضحكت مريم وأشارت إليها أن تنظر ما على البلاط من الآثار  
فوجدت آثار اقدام رجال ونساء وصبيان فحجلت وغضبت على  
الكهنة اذ ظهر لها مكرهم بها

ولم تدع الفرصة تذهب سدى فامرت زوجة أحدهم أن تطلعها  
على سر سرقة الاطعمة وهددتها فأرسلت سر داب تحت الموائد  
موصلة الى الخارج فتركت الوثنية وشهودت

وكان زوجها الفيلسوف علم بيهود امرأته من ترك عوائدها  
وكثرة تردد أم يسوع الى منزله فكبر عليه الامر وجعل يحتاج  
مريم باقيسته السفطائية محاولاً أن يقنعا بان الاصنام تأكل وتشرب  
كل ذلك بامل أن يرد الاميرة الى الوثنية.

وكان بالقرب من ذلك المكان بركة قديمة يسكنها تين كبير  
اعتاد الناس ان يقدموا له غذاء وشراياً مختارين فقال الفيلسوف  
لمريم اتقولين عن هذا الاله التين غير حي؟ فهوذا يأكل ويشرب  
ويتحرك

قالت مريم نعم انه حي ولكنه ليس إلهاً فان لي قدرة ان  
أقتله بلا سيف ولا عصا ومن لا يقوى على دفع البلاء عن ذاته كيف  
يكون إلهاً؟

قال الفيلسوف : لو قدرت عليه لعلمت انه ليس إلهاً  
فاخذت مريم زفتاً وشحماً وشعراً وطبخت الجميع معاً وصنعت

أقراصاً والتها للتين فاكلها وللوقت انشق ومات فحجل الفيلسوف  
من اعماه الباطل وكانت هذه الحوادث قد سرت بين الناس  
وانتشرت في الجهات المجاورة خصوصاً قتل التين فتمتقم الكهنة  
وانثاروا العامة علينا فامسينا في خطر ولكن من كرم الاله جاءتنا  
أخبار اليهودية تنذر يقرب موت هيروودس لان الله ابتلى جسمه  
بالاوجاع والقروح والجروح حتى صارت تبعث الروائح الكريهة  
وبعد ذلك بقليل قال يوسف ان الملك الذي رأيته أمام قدس

الاقداص تجلي لي بذلك المنظر البديع وبشرني بموت طاغية اليهود  
وكان حين توفي تنازع ابناء سلطانه كما قال يوسيفوف المؤرخ حكمت  
رومية بأن اخذها وهو هيروودس انتياس الذي سخر بالمسيح  
وقت الصلب يختص بقسم الجليل وارشلاوس بقسم اليهودية ولكن  
سأه هذا تصرفه فنفته رومية وصارت ترسل ولادة — منهم يلاطس  
البنطي الذي امر بصلب يسوع

٤ ومن ثم اجتمعنا على السفر ولم تشرق شمس اليوم التالي حتى  
كننا على مسافة بعيدة من عين شمس وقد رأت أم يسوع ان تقطع  
رحلاتنا بحديثها الرقيق فدعنتي بجانبها قائلة :

ألا تتذكر آخر حلقة من سلسلة روايتي لك؟ فقلت : بلى وقد  
سطرت كل ذلك ضمن هذا الدرج \* فقالت : قد فعلت حسناً ثم  
اردفت قائلة . بعد ان لبثت في بيت زكريا نحو الثلاثة شهور عدت  
الى الناصرة وكان حبلتي قد تعاطم واشهر فلما رأي ابن داود بهنم

الحال امتنع لون وجهه فاعتزل الاشغال واشتغل بتعكير البال ولم  
يلت ان تقدم ومسك بيدي ونحرت شفتاه للكلام فحقته العبرات  
وتوقف عن الحديث ثم قال بالفاظ تقطعها الشبهات بالكاد فبميتها  
( الجبل ظاهر يامرهم لايحتاج بينة )

فأثرت حاله على عواطفه فاستخرطت في البكاء نظيره اما هو  
فكفكف دمعته واجاب قائلاً: قد كنت سبيت قلبي بالختي العروس  
بطهارتك وزئبق عفتك وزهر عصمتك ما كان احسن حيك وم  
كانت محبتك اطيب من الحر ورائحة ادهانك من الاطياب وشفتاك  
تقطران شهداً

يا ختي العروس الجنة المغلقة والعين المقفلة والينبوع المحتوم ذات  
اغراس الفردوس التي لم تقطف اثمارها ولم تجن ازهارها \* من  
ذلك الجسور الذي شوه طلعتك وافسد جمال محياك ونجس طهارتك  
يا صبية؟ من دخل جنة غرفك وقطف زهر عرفك ونزع طيبك  
من جيبك؟

من استقى ماءك وعكس سماك وافسد هواك؟ من انضب برك  
واوقف دولاب سيرك؟ من اذوى عودك في ابان سمودك ولم يراع  
حرمة جدودك؟

من استقى جنتك الربا والتي فيها البذار النجس والزرع الدنس؟  
قال ذلك وولول ولطم خديه وصاح صيحة شقت القلوب بدل  
الجيوب ودخل غرفته واغلق بابها وجعل ينتحب: اما انا فقد اغني

علي من صعوبة النظر المؤثر ولما عدت الى ذاتي ورد على بالي هاتف  
وهو ان اعتذر بالكتاب واحتج على ان حبل عجب الاعجاب  
فقت مهرولة الى خزانة الرقوق واخرجت منها اسفار الخروج  
وحزقيال ودانيال واسعياء وعدت مسرعة الى باب غرفته وقرعتها  
قرعات متواليات ففتح الباب وانتظر الخطاب فدعوته قائلة:

يا يوسف لا يرعك حالي وترمي بالقباوة اعمال اطلب مني  
السبب لتسمع كل العجب فاني ما انا بالبغي ولا ذات المكروالي فان  
لي في الجبل عذراً ولك منه مجداً وخرأ . فبهذه اسفار ابائك افتحها  
وتصفحها فتجدها على حبل ناطقة ولي منها حجة صادقة

فانا يا يوسف المرموز اليه بالعليقة التي اتقديت بالنار ولم تحترق  
( خر ٣ : ٢ )

لنا هي الجبل الذي قطع منه الحجر بغير يدين ولم يحترق  
( دا ٢ : ٤٥ )

انا هي الباب الذي دخله الرب وهو مغلق مقفول دلالة على  
اني حبل وتول ( حز ٤٤ : ٢ )

بل انا للشار اليه بالعصا التي افرخت وازهرت ولورأ انضجت  
( عد ١٧ : ٨ )

فان لم يقمك ذلك بالاشارة فاليك ما قاله ذو البراة بصرح  
العبارة (ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عماوئيل ( اش ٧ : ١٤ )  
فلم يع هذه النبوة ولم يدرك لها معنى ولا قوة بل اكثر من



الكلام وزاد في الملام الى الظلام وقال اخيراً الافضل ان تخلى يا مريم  
المزول اولى من ان يوسعى العار الاشرار والاحرار  
قلعت ايها البار وعن الدنيا يا عار عيش بوجه سموح واطل  
الروح الى ان ياتيك الروح ومخبرك بالسر ويشرح منك الصدر  
قبل الفجر وهوذا انا ذاهبة للصلاة لادعو الاله

فركته تتجاذبه الموم كن أصيب بريح السموم ودخلت  
مخدع الصلاة بكل اناة فشكرت وحدثت وركعت وسجدت وقضيت  
الليل ساهرة بطلبات ياهرة

فما اصبح الصباح واشرق النور ولاخ وانتشر عرف النهار  
وفاح حتى يادر يوسف وهو يكبر الي ويستعذر ويستغفر قائلاً  
افتحن لي يا اختي وحييتي يا عماتي وكلمتي لان رأسي  
امتلا من الطل وقصص من ندى الليل فسألته قائلة مادهاك  
لما دعاك؟

فقال قد نظرت منظر اعجاب عما جاء عن جبالك في الكتاب  
بكل صواب منذ الاجيال والاحقاب

فانت هي الهيكل النضان والقدس الذي لا يهان والسماء بل  
اعظم وكروسي المجد بل اكرم فما اسعدني رجلاً ولذا ما عدت اؤخر  
في خدمتك رجلاً

وقد استبرت مريم قصص حوادث امان جبلها وانا صاغ لكلامها  
الرفيق ومعناه الدقيق حتى اقبلنا بعد بضعة مراحل على غرة يبال

رائق بلا عائق ودخلنا من البوابة التي ذكرتها مريم بان شمشون  
كان اقتلع مصراعها ودلني على الجبل الذي القاها عليه وهو نحو  
الجنوب الشرقي وقد لبثنا في هذه المدينة أياماً شاهداً فيها الحقل  
الذي ضرب فيه ذلك الجبار الفلسطيني والمغارة التي فسح فيها فكي  
الاسد وبني عليه احييته

ولما عولنا على السقر لم ير ابن داود من صالح يسوع أن نخرج  
على اليهودية بداعي ان ملاكاً حذره من سم الثعبان ابن التين وهو  
أرشلأوس ابن هيرودس لانه كان ضريب ابيه في الظلم ولا يقل عنه  
بالخوف على منصبه

فلما خرجنا من غرة المنحرف بنا الدليل نحو الشرق حتى اطلنا  
على سيادوم وعمورة فعبّر لنا ذلك المنظر عن كره الله للخطية وشدة  
غضبه وسخطه على فاعلها

وقد خيل لي في ذلك الوقت ان السماء تقذف ناراً وكبريتاً  
على تلك الصحراء المقفرة والهييب والدخان يتصاعدان منها  
وقد سبنا مسافة طويلة تحت سماء كاوية وشمس محرقة وجو  
صاف مع وجودنا في زمان الشتاء

ثم اقبلنا على مهر الاردن والقينا رحلتنا قرب المكان الذي  
اجتاز منه يسوع والشعب بمعجزة وشاهدنا الاحجار التي اقامها  
لتذكّر عبور النهر ومن الغد استأنفنا السفر حتى بلغنا الناصرة  
وما انتشر خبر وصولنا بين الاقارب والاباعد والجيران والمعارف

حتى يادروا الينا زرافات ووحدانا وقد ضاق بنا وبهم المنزل على اتساعه  
وما صدق العبد المحوسي ان وصلنا حتى هنا بسلامة الوصول  
وانطلق الى حال سبيله مزوداً بدعاء مريم وبركتها

### الفصل السادس

- (١) نحو يسوع ومهنته
- (٢) تروده الى اورشليم مع والديه
- (٣) عماده
- (٤) ابن الأرملة ولعازر

(١) لما توجه العبد المحوسي رأيت أنا أيضاً من مصلحتي أن  
انطلق الى وطني في عبر الاردن في جلعاد حيث بلاد مواب وكان  
أهلي من ذوي اليسار قنينهم الاغنام والانجار بصوفها ولحما واستدرا  
سمها فاستاءت مريم من عزمي واذا لم تجد طريقة لتأخيري عنه  
شيعتني هي ويوسف الى الخارج فانطلقت شاكرآ احسانها الى  
جلعاد حيث وجدت أهلي يرتعون في أرغد عيش وانعم حياة جعلت  
اساهمهم طيب نعيمهم وصافي بالهم ولذة عيشتهم الخلوية وبعدم عن  
ضوضاء المدن وغوغاء الازدحام

وفي أحد الايام انطلقت الى البرية لاقتقد للماشية التي كانت  
منتشرة مع رعاتها بقرب ديبون شرقي البحر الميت على مسافة ثلاثة  
أيام من اورشليم فوجدتها سالمة وقد أوقف نظري في ذلك الموضع  
حجر اسود منقوش باللغة الموالية (١) اكتشف سنة ١٨٦٩ وهو الان

في متحف اللوفر بباريز ) قد كسر مظهر منه الرعاة قطعاً فكشفت  
باقية وجمعت متفرقة وضممتها اليه فكان طوله متراً وستين سنتيمتراً  
وهو منقوش قبل المسيح بنحو تسعة قرون يحتوي على أربعة  
وثلاثين سطراً

ولما بين لغة مواب بن لوط ولقنتنا من التقارب والتناسب  
تسنى لي ان احل رموزها واعرف الاتفاق في النقط الجوهرية بين  
ما جاء فيه وما ورد في الكتاب عن تواريخ ملوكنا  
والكتاب لهذه الصفيحة هو ميشاع ملك مواب الذي ورد  
ذكره في كتابنا انه عصي على يورام بن اخاب وقد تفاخر بهذه  
الحرب التي اثارها على اسرائيل وذكر في سقراخبار الايام الثاني  
( ص ٢٠ ) وذكر منها انتصاراته بدون ان يذكر كسرانه كما فعل  
غيره من ملوك مصر واشور في خطوطهم القديمة وذلك بقوله  
( ان عمري كان ملك اسرائيل وضايق مواب اياماً طويلاً لان  
كاموش ( معبود مواب ) كان ساخطاً على أرضه وخلفه ابنه اخاب  
فقال انا ايضاً أقهر مواب في ايامي واتسلط عليه واذله هو وبيته  
فباد اسرائيل يدياً دائماً وكان عمري استحوذ على ارض مدياب واحتلها  
وعاش هو وابنه اربعين سنة فاستردها كاموش في ايامي

وهذه الرواية توافق كل المواقة لرواية الكتاب المقدس اولاً  
في مقدار ملك عمري وابنه الاول ١٢ سنة والثاني ٢٢ سنة والست  
سنين كماله الأربعين سنة اما مدة منازعة زمري لعمري او الستين

التي ملك فيها اخزيا بن اخاب والاربع سنين التي في نهايتها  
نحر رموب

ثانياً مطابقة اسماء الملوك لبعض

جاء في الصحيفة ( وكان رجال جاد يسكنون في ارض عطاروت  
منذ زمان مديد وقال لي كاموش امض وافتح نابو على بني اسرائيل )  
وهذه الرواية توافق لما جاء في الكتاب ( عد ٣٢ )

ان بني جاد وبني راويين جاءوا وكلوا موسى وقالوا ان  
عطاروت ونابو هي ارض تصلح للماشية ولعبيدك ماشية فان اصبت  
عندك حظوة فلتعط هذه الارض لعبيدك وقيل بعد ذلك فبنو  
جاد ديون وعطاروت وبني نو راويين حبشون.. ونابو. ثالثاً ذكر  
في الصحيفة كاموش معبود مواب ويهو اله اسرائيل وهو طبق ما  
ورد في الكتاب ايضاً

رابعاً ان كتابة الصحيفة موزعة على الاحرف الهجائية الاثني  
والعشرين حرفاً وهذه العادة كانت جارية عند كتبة بني اسرائيل  
فلم يبق محل للظن ان هذه الحروف وضعت متاخراً على ( مز ١١٩ )  
او على ( ام ٣١ )

فلما وقفت على هذه العبارات المطابقة لمثلها في الكتاب المقدس  
عجبت من هذه الخطوط القديمة وعلقتها في مذكرة

ولما عدت الى المنزل كلفت ان انطلق الى اورشليم بتجارة من  
الاغنام والجمال لايعبأ لتجار اليهود والعرب والسريان والرومان

وقد كثر هولاء الاخر في هذه المدينة بداعي ان مجلس السناتو في  
رومية استبعد ارشلاوس لاساءة تصرفه وعين بدله والياً روماني  
الجنس

ومما يستغرب له القاري اني اثناء تجولي في ازقة المدينة صادفت  
ام يسوع بحالة تستوجب الخوف والقلق فما صدقت أن شاهدتني  
حتى هدى روعها نوعاً وبادرته بعد التحية بالكلام وقالت : قد  
تعبت النهار اجمع وأنا افتش على يسوع في الشوارع وانشده بين  
ربي صهيون وأمال عنه البنات والعذارى واستحلفن بالظباء  
والايائل قائلة ( احلفكن يا بنات اورشليم ان وجدتني حبيبي ان تخبرنه  
باني مريضة ) وهن يتجاهلن تارة قائلات ( ما حبيبيك من حبيب  
ايتها الحيلة بين النساء ما حبيبيك من حبيب حتى تحلفينا هكذا )  
ويسخرن بي اخرى بقولهن ( ابن ذهب حبيبيك اين توجه فطلبه  
معك )

فاجبتن على السؤال الاول بأن حبيبي أبيض واحمر معلم بين  
رطوبة وعلى الثاني بأنه نزل الى جنته الى خمائل الطيب ليرعى بين  
السوسن

فقلت لمريم : وكيف تسنى ليسوع ان يأتي وحده الى هذه المدينة  
قالت : لم يأت وحده لاني أنا وابن داود كنا معه وقد اعتدنا كل  
سنة منذ نقي ارشلاوس أن تأتي به الى الهيكل في عيد الفصح ولما  
أكملنا أيام العيد انطلقنا الى الناصرة مع الاقارب والاصدقاء وكنا

نظن أنه سار ضجبتهم فبعد أن سرنا يوماً واحداً طلبناه بينهم فلم نجده فرجعنا على أثرنا وقد قضينا يومين وأنا أفتش في جهة وابن داود في أخرى فلم نهند إلى مكان وجوده وهوذا أنت الثالث كلف خاطرك وانشده معنا خاصة عند التجاربين لأنه تعلم من والده هذه المهنة وقد ذاب قلبنا في داخلنا من الخوف عليه ربما أغواه أحدهم وأبقاه عنده وتبناه فقلت لها: حباً وكرامة وموعد الالتقاء بك مساء باب الخليل. فانفصلت عنها بعد أن عرفتني بعلامة فيه تميزه عن غيره وانطلقت أعدو إلى الهيكل فوجدته في صحنه جالساً بين زمرة حملة التوراة وكتبته وعلما شريعتها يسألهم ما أشكل فيها ويفسر لهم عويصها ويوضح غامضها وهم يعجبون من طلاقة لسانه ورقة الفاظه وحلاوة كلامه في غضاضة عوده اذ لم يتجاوز من العمر الثانية عشرة وقد شوقني منطق لسانه أن أعي كلامه في خباء قلبي وسلوت به عن خوف والدته عليه فجلست أصغى وإذا هو يقول

: ماذا تظنون أيها الرابيون بناموس موسي هل يطرأ عليه تغيير وتبدل وتحوير أو يدوم إلى الابد مادام الاله الصمد ؟

فاجاب الرابي شمويل وكان نحين الرقة غليظ البطن سمين الجسم قائلاً : بل يدوم باقئ مادام الصيف والشتا

قال يسوع اذاً ما معنى قول النبي ؟ ( ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذي قطعته مع اباائهم يوم امسكتهم يديهم لاجلهم من أرض مصر

حين تقضوا عهدي فرضتهم يقول الرب ( ار ٣١ : ٣١ )

فسكت جميعهم من صغيرهم إلى ربيعهم

فقال يسوع : أيها الرابيون ألا يجوز أن تقتر الذبائح للديان في خلاف هذا المكان ويتغير الكهنوت يا أبناء الملكوت وهلا تقبل عبادة الامم يا أولي النعم ؟

فاجاب الرابي موشي وكان معرضاً عصابته ومعظماً أهداب ثيابه وجالساً في الصدر بكبرياء وخر قائلاً : لا يجوز هذا الكلام يا غلام فقال يسوع اذاً ما معنى قوله للكهنه ( ليست لي مسرة بكم ولا أقبل مقدمة من يدكم لانه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الامم وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقديم طاهرة لان اسمي عظيم بين الامم ) ( ملا ١ : ١٠ )

فصت الجميع من الرافع إلى الوضع

وبينا هو يقوم بهذه المهام في ذلك المقام وإذا برعم ويوسف داخلان فاشارا اليه اشارة القيام فقام واعطى السلام فقالت له أمه بخشوع : يا يسوع ذا القول المسموع والرأي المتبع لماذا تركتنا حتى اشغلنا ؟

قال : يا مريم ينبغي لي انا الصبي ان اكون قدام ابي وتبعها

على القور بكل سرور

( ٣ ) ولما انتهت تجارتي ونفقت بضاعتي عدت إلى الوطن

فصادفت فتى لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة جلد ويده

آثاء ملآن من غسل البر يتخلله جراد مشوي فاقتربت اليه قائلاً:  
ما اسمك؟ فقال: صوت صارخ في البرية. قلت: ما عملك؟ قال: ان  
اسهل طريق الرب ( فما فهمت له هذا الكلام ولا اردت ان اسومه  
اللام فتركني وعدا الى النهر بلا صبر. فلما اجتمعت بالريان سألتهم  
هل صادفوا هذا الشاب في الوديان او الهضاب

فقالوا لعله يوحنا العابد الذي للوحدة والنسك يكابد ويسكن  
القفار ولا يأوى الى دار

فقداني هذا الصوت الى عدم السكوت وقلت: هل لكم ان  
تدلوني على مكانه لاعرف ادوار زمانه من لسانه او بنانه واقف على  
مكنونات قلبه ومعلومات لبه واكون له صديقاً واخاً ورفيقاً

فقالوا: غداً يكون التلاق مع ذلك المصداق

فجاء الأمل لان الرعاة اجتهدوا بعدئذ ان يقفوا لذلك العابد  
على أثر في تلك البرية فذهب سعيهم باطلاً ومرت عليهم عدة سنين لم  
يروه ولم يراهم بخلاف ما كانوا عليه سابقاً اذ كان يأنس اليهم ساعات  
ومحادثهم واحياناً يحضر لهم اقراصاً من الشهد ويأخذ بدله جانباً من  
وبر الابل ويغزله وينسجه نوباً خاصة في فصل الشتاء

ولما كان احد الرعاة منطلقاً بقطيعه نحو الاردن شاهد على شاطئه  
الغربي جمهوراً لا يقدر ان يحصره غير الاله فاندعر عند هذا المشهد  
اذ لم يره قبل ذلك اليوم لافي هذه النقطة ولا في خلافتها فلما صار  
بينه وبينهم نحو رمية حجر رأى رجلاً ملتجئاً واقفاً في النهر يعمد

الآتين اليه وكلما اقترب واحد يغطسه قائلاً: انا اعمدك بماء للتوبة  
والذي يأتي بعدي يعمدك بالنار والروح القدس.

وكان يزجر البعض ويوبخهم على خطاياهم ويأمرهم أن يفعلوا  
أعمالاً تليق بالتوبة ولا يدعهم يتكلمون على أبيهم ابراهيم وهم لا يجارون  
ابراهيم بأعماله وقد لبث الراعي ساعة باندهاش تاركاً قطيعه منتشراً  
على ذلك الشاطئ. ولما عاد به وقص علي ذلك الحادث طار النوم من  
عيني وما طلع النهار حتى توجهت الى ذلك المكان وقطعت النهر  
ووقفت بين ذلك الجمهور انتظر معهم ذلك الرجل وكانوا يدعونه  
نبي الاردن ويقولون ان الله افتقد به شعبه لانه مضت منذ ملاخي  
آخر الانبياء نحو خمس مئة سنة لم يقم نبي وكان بعض العلماء يحسب  
أسابيع دانيال ويقارن نبوة يعقوب بهذا الزمان ويستنتج ان هذا  
النبي هو الماسيا الذي يرد الملك الى بني اسرائيل ويجلس على كرسي  
داود.

ثم صاح واحد قائلاً ( هوذا النبي ) فانجبت كل الانظار نحو  
الجهة القادم منها واذا برجل مكشوف الرأس وشعره مرسل على  
كتفيه يتقدم نحو النهر وهو يقول: اهربوا من هذا الجبل الملتوي  
توبوا فقد اقترب ملكوت السموات. ثم عبر النهر حتى غمره الى  
وسطه وبدأ يعمد الآتين اليه

فدنا اليه رسولان من قبل رؤساء الكهنة وقالاه هل انت  
هو الماسيا المنتظر؟ فاجاب لا. فقالا: اذاً ما بالاك تعمد؟ قال: انا اعمد

بماء للتوبة ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني رجل صار قدامي  
لانه كان قبلي يصعد بالروح القدس والنار ويحمل الخطايا والاوزار.  
ثم توقف عن العباد وشخص نحو الراية التي ارتفع منها ايليا  
الى السماء ومد يمينه نحوها ولبت صامتاً نحو دقيقة حتى حوّل كل  
الابصار الى تلك الجهة واذا برجل تجلّاه الالهة والعظمة قادم اليه  
ترافقه بعض النساء ثم صرخ النبي بغتة قائلاً: هوذا حمل الله الذي  
يرفع خطية العالم فاخلّ له الجمع طريقاً حتى دنا من المعمدين بالسلام  
وقال له: ماذا تريد من العبد ايها السيد؟ فاجاب بصوت رن كبوق فيه  
اذان الجمهور قائلاً: ان اعتمد منك. فاعتري النبي الدهول والخشوع  
وقال بخضوع: انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تأتي الي؟ فاجاب انه  
يليق بنا أن نكمل كل بر. فلم ير النبي بداً من عماده فعمده بغاية الاجلال  
وللوقت هدر فوق رؤوسنا صوت كما من هزيم رعد قاصف مع ان  
الجو كان صافياً واذا رفقنا أعيننا الى فوق منذرين شاهداً مجدداً  
باهراً نشبت منه شعاعة من نور بشكل حمامة واقضت كسهم على  
رأس المعتمد وما عم ان استحبال الرعد الى صوت يتكلم ويقول: هذا  
هو ابني الحبيب الذي به سررت.

(٣) فضج الجمع على أثر هذا الحادث قائلاً: هذا هو الماسيا  
هذا مخلص اسرائيل اوصنا لابن داود فليعيش الملك فلتسعد الامة  
وليرتفع قرنّها ويعل شأنها وتقوشوكتها ويخز الرومان وكل مستعبدتها  
ولما صعدت هذه الاصوات بضجة الفرح تكأ كآ اغلب الجمهور على

الشاطي. وقالوا. فليحيها الملك: وقصدوا ان يسكوا ذلك الانسان.  
ولكن لم يصعد من الماء حتى توارى عن اعينهم فاخذوا يقتشون  
عليه مبهوتين حتى ينسوا من وجوده وبات بعضهم في حزن  
(٤) وبينما انا اجول بين الجوع وانتقل من فرقة الى اخرى  
شاهدت ام يسوع باسطة يديها الى السماء وعيناها تذرفان دموع  
الفرح قابتدريتها بالسلام فاحت رأسها باقتسام وقالت: ألم تر يسوع  
في مجده وألم تسمع شهادة الاب له بانه ابنه الحبيب؟ فاجبت: لم اكن  
أعلم ان الذي عمده يوحنا وشهد له الاب وحل عليه الروح القدس  
هو يسوع اين هو الان؟

قالت: اخبرني انه مر مع بعد المعمودية ان يكابد صوم اربعين  
يوماً مجرباً من الشيطان في القفار فقال قد توجه الى البرية ولا أمل  
ان تلقيه قبل هذه الاونة

قلت: ماذا يقصد ان يفعل بعد ذلك؟

قالت: طالما كان يقول اني جئت الى العالم لآخف من ويلات  
واشفي علاته فسوف اشفي اسقام الشعب واخرج الارواح الشريرة  
وامنح البصر للعميان واقيم الموتى وأمر الرياح ان تسكن والبحر ان  
يسكت وامشي على المياه وانذر بسنة مقبولة للرب واءلم كل العالم  
الفضيلة والطاعة لابي والتعبد له

قلت: انه لهذا العمل يحتاج أن يعيش المسيح الى الابد  
قالت قد انذرتني بالمدة التي يحول فيها كارزاً ومعلماً وهي مدة.

ثلاث سنين ثم يَحْتَمِ عمله بالصليب وقد كنت كلما سمعته يندب بموته مصلوباً ارتعد فرقاً واحاول ان اصده عن السلوك في هذا الطريق الشاق فكان يجاوبني لهذا جئت اما انه يحتاج ان يعيش دائماً ليصيب مرماه ويدرك غرضه وينجح عمله فذلك صحيح ولكن الماسيا سوف يترك العالم ويمضي الى الاب وانما قال انه مزعم ان يختار لانعام هذا العمل اثني عشر رسولاً وسبعين مبشراً

قلت: الان تذكرت ماذا قال لي سمعان الشيخ انك سوف تكون أحد انصاره والقائمين بدعوته

فسوف الحق به واكون من خاصته وكخدمته في الصغر اخدمه في الكبر وانما الآن اعود الى الوطن لاقضي بعض المهن واعود الى الناصرة حيث اجدك واستعلم منك عن مكان وجود الماسيا لان تلك المدة تكون قد انتهت فقبلت يديها

قالت: لا اخفي عنك يا ولدي شيئاً ان لي صديقة في نايين دعيتني منذ يومين ان احضر عقد اكليل وحيدها بعد شهرين فمتى مضت هذه المدة تجددني قد عدت الى الناصرة

فاجتزت النهر وانطلقت الى حال سبيلي انا مل في تلك الحوادث السموية التي شاهدها الوف غيري واقروا بمنزلة المعبد الالهية ولم تمض مدة الاربعين يوماً حتى هبات للسفر الى بلاد الجليل قاصداً الناصرة منها وفي اثناء الطريق تذكرت كلام مريم لي انها كانت مزمنة ان تاتي دعوة صديقتها الارملة في نايين ونحضر احتفال زيجة وحيدها

فخرجت على هذه القرية

وما سرت بضعة خطوات في شوارعها حتى التقيت بام يسوع متوجهة الى بلدها الناصرة فقالت سلام لك يا ولدي لو تقدمت بضعة ساعات لشاهدت مجد الله ولكن سر معي لاقص عليك ماجرى اليوم اخبرتك يوم كنا على شاطئ الاردن اني مدعوة ان احضر زفاف شاب وحيد لارملة تقي الله وتتعب له منذرملها فاجابة للدعوة جئت هنا منذ يومين فحدث البارحة بينما كنا نستعد للتوجه الى بيت الخطيئة ان الشاب اصيب بحصى خبيثة لم تدعه ان تطول عليه ساعات ذلك النهار وفي ساعة واحدة تغيرت الافراح بالاحزان والاشجان ومن يقدر ان يصف مقدار كآبة تلك الارملة سيما اغنام تلك العروس منذ طرق سماعها تلك الفاجعة فكانت زفرات الحزن واصوات العويل عجائب من بيت العروس وبيت ذلك الميت وكان حزني لا يقل عن حزن تلك الشكلى التي كانت تمزق الحشاء بنديها وعويلها وما ادراك ماذا حدث لها حين رفع الرجال ثمرة احشائها من بين يديها جثة هامدة لا حراك فيها جثة ذلك الشاب الذي كان على جانب عظيم من قوة الصبوة وعنفوانها وذهبوا بها الى المدفن فاعتري الشكلى الذهول والغيوبة وخنقتها العبرات وامست شاخصة لا حراك لها كلها قطعة من حجر

فحينئذ نأسفت بذاتي قائلة لو كان الآن يسوع معنا هو وتلاميذه كما كان في عرس قانا الجليل وحول الماء الى خمر حين مست الحاجة

اليه لما دهمتنا هذه النكبة ولكن ما قدر فكان وقضى فصار ولا مرد  
لقضاء الله وقدره ولم تدعني رقة القلب والحناة ان ادع تلك العروس  
الشقية واصحب النعش فتوجهت الى منزلها وبقيت تارة الاطفها  
وآخرى اراقب من النافذة سير الجنازة حتى غابت عن عيني فاعملت  
كل فكري في تنبيه تلك الشقية التي هي بالحقيقة سعيدة واستعملت  
كل وسيلة المنبهات حتى استفاقت كأنها من حلم وهي تنادى اما  
الى اتمام معدبات الزفاف ووسائل الافراح

وبينا انا اعالج العروس طرق اذني صوت هتاف عظيم فاجفلت  
وتطلعت من النافذة وعندها تاكد عندي انه هتاف فرح وانه آت  
من خارج اسوار المدينة وتسلفت جدار سطح البيت حيث انكشف  
لي منه جمهور عديد يقرب منها وما ليث قليلا حتى شاهدت خادم  
البيت الادومي يهب الارض محاضراً وهو يشير يديه ويحرك رأسه  
ومن ورائه شابان يسرعان ويشيران مثله ويهتفان هتافاً لم أفهم منه  
صوى ( هو حي هو حي ) ( يسوع يسوع ) البشرى البشرى ابن  
عروسة فرادت نبضات قلبي وتلجلجت في الاستهمام بتلف قائلة بالفاظ  
مقطعة من الذي يقولون عنه انه حي؟ وماذا تريدون باسم يسوع؟ فاجاب  
الخادم ومجياه يتلألاً بالبشر والسرور — العريس احياء يسوع ياستي  
ابن الفتاة دعيني اراها قبل غيري البشرى لي وحدي لا تقطعي رزقي  
ها هو قادم في موكب الفرحة نحفه اصوات التهليل وترافقه نشائد  
السرور ووالدته من ورائه تزغرد وما اتم الخادم كلامه حتى سرت

امامه مسرعة الى حيث العروس واخبرتها بذلك كن يقص عليها  
حكاية بسيطة خوفاً من انفعال الفرح قائلة : البشرى يا عزيزتي قد  
قام عربسك اقامه يسوع

فهزت رأسها وشخصت الى السماء وسكبت عبرات اليأس غير  
مصدقة وقالت : آه يقوم ولكن في القيامة فقطع كلامها الخادم قائلاً :  
ولكن الآن يقوم على الارض وقد شاهدته يتكلم بعظائم الله  
واما فرح والدته فلا يوصف

وما نطق بأخر كلمة حتى دوت اصوات الجمع في الازقة وملاً  
الضجيج الشوارع ولم يعد له وقت لكي يتم تفصيل حكايته فقدت  
العروس الى سطح المنزل وهي بين الشك واليقين ولما اشرفنا على  
الجموع شاهدنا الشاب يتقدم الجموع على رجله طافراً مسبحاً الله  
بين هتاف الحمد واصوات المجد ولم يبق بينه وبين الباب سوى خطوات  
وما صدقت الشابة ان شاهدته حتى صرخت والدموع ملأى عينيها  
النجلاوين انه حي انه حي وبادرت الى الاسفل وعاقته وعادت  
الى خدرها قبل أن يراها احد

ولما سكت الهتاف تقدم الكاهن زدعا بالشابة الى جانب  
الشاب وأتم قرانهما بالدعاء والبركة وهوذا هما في ارغد عيش  
وانعم حياة

ولما تمت مريم روايتها سألها عن مكن وجود الماسيا الآن  
فصالت : ان الجمع على اثر اقامته لا ين الارملة تظاهر بالعصيان على



الرومان وطلب ان ينصبه على كرسي داود ابيه ملكاً فتوارى في  
وسطهم واختفى تاركاً تلاميذه وعلى ظني انه انفرد في الجبل للصلاة  
كعادته وربما سبقنا الى الناصرة

وما وصلنا الى هذه المدينة حتى وجدنا رسولا ينتظر قدوم مريم  
بقروح صبر حاملاً اليها رسالة من صديقتين لها في اليهودية اسم  
احدهما مريم والاخرى مرتا ففضت ختم الرسالة وقرأتها وتهدت  
شاخصة الي فتناولتها من يدها وتاملتها واذا بها

(من مريم ومرتا في بيت عنيا الى ام يسوع بالناصرة سلام اعلمي  
ان لعازر صديق ابنك احبم البارحة وسقم والمرض اخذ به بالزيادة  
من ساعة الى اخرى وقد ارسل لنا رئيس الكهنة ثلاثة اطباء مدعماً  
بالمرض فلم ينجع دواؤهم ومن حامل رسالتنا تقفين على تفصيل المرض  
ولا امل بالشفاء منه ما لم يدركنا صديق اخينا بالاسعاف فمندوقوفك  
على هذا الخبر الذي بالطبع يبعث فيك الشفقة علينا والحزن معنا اطلبي  
الى يسوع ان يبادر الى موازرتنا قبل ان يصيبنا الشر لا سمح الله)  
فتطلعت الى مريم قائلاً لا بد ان لعازر متقرب الى رئيس  
الكهنة والا لما اهتم به وازسل له الاطباء

قالت وفوق ذلك انه شير عند جميع رؤساء اورشليم ومحبوب  
عندهم لانه من كبار كتاب الناموس واحذقهم ومعيشته ومعيشة اختيه  
من صناعته هذه فياويلها اذا توفاه الله

فقلت اذا ما العمل؟ قالت ان ترفق هذا الرسول الى حيث يوجد

يسوع وتدعوه بلساني ان ينطلق بسرعة الى عيادة صديقه لعازر  
ليخفف من ويل تينك الاختين وهوذا انا ذاهبة قدامكما اليهما  
فاجتبا حياً وكرامة وسرت انا والرسول الى نواحي طبرية اشده  
ومن توقيقات العلي التقينا به في سحراء غاصة بالجموع وهو يعظم فظل  
مخاطبهم الى ان مال النهار وقيل ان يصرفهم قدم اليه قتي خمس  
خبزات وسمكتين على طبق فوزعها الى قطع ودفع الى كل واحد  
من المحدثين به جانباً ليضعوه قدام ذلك الحشد الجالس وقثند على  
العشب الاخضر

فوقفنا مبهورين لانا كنا نشاهد ان التوزع من بين يديه اضعاف  
ما تقدم له الاقفا

والاعجب من ذلك ان يسوع امر المتقدمين تلك المائدة ان  
يجمعوا ما فضل عن الاكسين من الكسر فجمعوها واذا بها اثنا عشرة  
قفة ثم صرف الحشد آذناً لهم ان ينطلقوا الى بلادهم

ولم يبق معه الا اثني عشر رجلاً كانوا اطوع له من ظله فتقدمت  
اليه بالرسول الاتي من قبل مريم ومرتا جاثياً وقلت له: يا سيد ان الذي  
تجبه مريض ثم دفعت اليه رسالة متحماً فقرأها وقال: هذا المرض ليس  
للموت بل ليشمجد ابن الله به. وبذل ان يجيب الطلب ويسرع لاغاثة  
تينك المسكينين لبث في مكانه يومين وكنت كلما احسر ان ادنو منه  
لافاعحه بتلك المسألة تصدني مهابته عن الكلام وفي آخر مرة التفت  
الي بوجه رائق وقال لعازر حينئذ قد نام فقال واحد من الواقفين

ان كان نام فهو يستيقظ فاجابه يسوع : اني اريد بالنوم الموت .  
قال ذلك وسار وامرنا ان نتبعه

فسرت بجانب واحد اسمه متى كانت وظيفته قبل ان يتلمذ له  
جباية الخراج فقال لي : اتظن ان معلمي لا يقدر ان يقيم لعازر من  
الموت ؟ ألم تسمع انه اقام ابنة احد الرؤساء ومذ بضعة ايام اقام شاب  
نايين ؟ ولو أردت ان اقض عليك من خوارق اعماله لطال بنا الكلام  
ولكني اکتفي ان اذكر لك منها ما هو . مرة طهر ابرص واخرى  
عشرة دفعة واحدة وفي وقت طلب اليه قائد مائة من جنس الرومان  
ان يقول كلمة واحدة ليشفي بها ابنه المفلوج فشفاه بقوله له : كما أمنت  
ليكن لك . وفي يوم قدم اليه مفلوج على سرير فامر ان يحمل السرير  
ويضي فقام صحيحاً وفعل كما امره . وفتح اعين العمي واخرج  
الشايطين واعطانا نحن تلاميذه سلطاناً ان نفعل نظيره ولما جلنا  
بين اسباط اسرائيل كانت الشياطين تخضع لنا باسمه فلا يعسر عليه  
ان يقيم لعازر . فقلت : ان كان لعازر مات البارحة او اليوم ومن هنا  
الى القرية التي دفن فيها مسافة يومين فلا نصل حتى يكون مضي زمن  
تشوش فيه جسمه

فقال : الكلام لا يفيد الان سوف ترى ان قدرة يسوع لاحد لها  
وكان يقص من حوادث المسيح وانا اعى ذلك في خيائ قلبي  
الى ان اشرفنا على القرية فعدوت نحوها را كضاً حتى بلغت منزل  
لعازر الذي كان وقتئذ مزدحماً باليهود المعزين وبشرت اخيه وام

يسوع بقرب محبي المسيح فاطرق سماع الجمع مجيئه وخاصة مرتا  
حتى خرجوا ماعدا مريم التي لبثت تهبي . المنزل لنزول يسوع حبيبها  
اما مرتا فادركت المسيح قبل الكل وسقطت باكية عند  
قدميه قائلة : ياسيد لو كنت ههنا لم يميت اخي . قال لها : يقوم اخوك يا مرتا  
اذهي الى مريم وقولي لها ان يسوع يدعوك لتري مجد الله . فلم تصدق  
مرتا وعد المسيح بل اجابته : انا اعلم انه يقوم في القيامة . فقال لها :  
انا هو القيامة من آمن بي وان مات فسيحيا ألا تؤمنين بهذا ؟  
فاجابت : بلى او من واسرعت الى مريم ودعتها قائلة : ان العلم  
يدعوك لكي تشاهدين قيامة اخينا لعازر

فامر مريم السرور المزوج بالخشوع عند سماعها هذه البشرى  
وتركت ما بيدها من العمل وتبعته اخنها ولما دنت من يسوع وقعت  
عنده رجليه باكية قائلة : لعازر مات يا يسوع وقد انطلى نور أعيننا  
بموته يا معلم وهدم صرح مجدنا ودكت دعامة حياتنا وهوى ركن  
سعادتنا ياسيد وصار الموت خبير لنا من الحياة فلوكنت ههنا ايها  
الشفوق لم يميت اخي

قال لها : من آمن بي لا يذوق الموت وان مات فسيحيا اين وضعتموه ؟

فسارت قدام يسوع والجمع من خلفها حتى وصلوا مغارة على  
بابها حجر عظيم حيث كان موضوعاً فانظرحت الاختان على الحجر  
تبكيان ولما شاهدهما يسوع تنهد وبكى وامر رجالاً ان يرفعوا الحجر  
فرفع وللوقت شكر وابتهل وصاح بصوت عظيم قائلاً

لعازر هلم خارجاً

وعند هذا الصوت شخصت جميع الابصار الى باب المغارة  
واذا باليت قد اندفع منها كسهم مرشوق من قوس وانتصب على  
رجليه بكفته وعندها اندعر الجمع الواقف ووقعوا على الارض من  
الخوف ما عدا مريم واختها اللتين اندفعتا بجاذب الحب الاخوي  
عليه وعاقبته مزغردتين فنادى يسوع بالذين رفعوا الحجر قائلاً  
حلوه من وثاقه وكان الجمع قد رجعت اليه قواء فوقف وشرع يعاقبه  
الواحد بعد الآخر

ثم ساروا به فرحين شاكرين احسان الماسيا

### ﴿ الفصل السابع ﴾

(١) الصلب والوث

(٢) القيامة والصعود

(١) وكان المظنون ان يسوع يرافق الجمع الى منزل لعازر  
ولكنه توجه الى اورشليم وفي اثناء الطريق ارسل اثنين من تلاميذه  
الى قرية قريبة فاحضرا له اثناً و جحشاً فركب على الاثنان في صعوده  
وعلى الثاني في نزوله لضعفه وسار والتلاميذ محدقون به والمهابة تحفه  
والجلالة تراقته بين هتاف المجد واصوات الحمد وقطع بعضهم اغصاناً  
من شجر الزيتون وفرشها قدامه وحمل غيره اغصان النخل  
ولما قرب من المدينة ارتجت وخيل لي انه لم يبق فيها ساكن لم  
يخرج لاستقباله وقد امتزجت اصوات الاطفال باصوات التلاميذ

باصوات الجمع والكل يقول : اوصنا لابن داود مبارك الآتي  
باسم الرب .

وظل يسير بهذا الموكب حتى دخل الهيكل فاستاء مما شاهده  
فيه من تدنيسه باصوات ثغاء الغنم وبعار البقر وهدر الحما وورنة  
الدنانير بدل اصوات التمجيد ولذلك رفع صوتاً بيده وضرب به  
الارض كان كمرعد قاصف وتلاه قائلاً : ان بيتي بيت الصلاة يدعى  
وقد جعلتموه مغارة اثم وظلم وسلب ونهب وربا

ولم يدو صوته في اذان الباعة حتى ذعروا ووقع بعضهم على  
بعض ومن جراء ذلك اقبلت كرامتي باعة الحمام وموائد الصيارفة  
خفرت الطيور وانكبت الدنانير وفي لمح البصر لم يبق في الهيكل  
سوى التلاميذ ونفر قليل من الكهنة فتقدموا اليه وقالوا له قد فتنت  
المدية فمن قليل يأتي الرومان ويخربونها ألم تسمع ماذا يقول الاطفال؟  
فاجاب : ليست لي مسرة بكم . وان سكت هؤلاء نطقت الحجارة  
فقد دنستم الهيكل واهتمتم اسم ابني الذي دعي عليه فسيأتي يوم  
لا يترك فيه حجر على حجر

وما اتم كلامه حتى تقدم اليه عرج وعمي فشفاهم ثم خرج من  
الهيكل وسار الى خارج المدينة

وفي اثناء الطريق تقدمت اليه ساجداً قائلاً : يا سيد اتبعك الى  
حيث نمضي فاجاب : ان كنت تريد ان تكون لي تلميذاً كاملاً فامض  
وبع املاكك وفرقها على الفقراء والساكين وتعال ورائي حاملاً

الصليب واعلم انه ليس لي مكان اضع فيه رأسي

فتنهقرت الى الوراء متردداً بين العمل بمشورته والعدول عنها وبعد الاخذ والرد في ذاتي اخترت الامر الاول على الثاني وانطلقت الى البلد حيث مكثت الى ان وزعت ما امتلكه على الفقراء المساكين من متروكاتي ومقولاتي وعدت على الاثر الى اورشليم حيث شاهدت في شوارعها يسوع تقشعر من منظره الاجسام وترتعد الفرائص شاهده لا بساً اكليل شوك وحاملاً الصليب واليهود والجنديستاقونه بعنف الى متع العذاب والنساء يولولن عليه ويندبنه ويرثين لحال والدته وتلاميذه قائلات: يا لشقاء والدتك يا لحية تلاميذك ما أكثر عارهم واعظم خزيهم. وبما وصلوا به حتى عروه ومدوه على خشبة وسبروا يديه ورجليه عليها وغرسوا اسفلها ونصبوها وصلبوا معه مجرمين احدهما عن يمينه والاخر عن شماله وصار كل من يجتاز عليه يعيره

اما انا فقد جمد الدم في عروقي واشتملني الذهول واخذتني الحيرة وصرت اقايس بين المعجزات التي فعلها والتي رافقت حياته وبين الحالة المحجلة التي انتهى اليها

وكانت نساء واقفات عند الصليب يكنين بينهن امه التي بمجرد ما وقع نظره عليها دعا تلميذه يوحنا الخصب به وسلبها له وامره أن يعتني بها كوالدته ومريم اختها ام يعقوب ويوسي ويهوذا ونساء اخريات

وقد زاد ارتباكنا كي حدوث ظلمة اكفهر منها وجه السماء حتى ظهرت النجوم وغطت الارض وحجبت رؤية أحدنا عن الاخر ولم نعد نشاهد الصليبان الثلاثة سوى صليب يسوع لان هالة من نور بقيت فوق رأسه كان يتألق منها وجهه

وقد استمر وجه السماء والارض مكفهرًا نحو ثلاث ساعات وعقب ذلك صاح يسوع بصوت وأسلم الروح وعندها تماوجت الارض وحدثت قرعة ودويًا حتى غشي علينا ووقعنا على وجوهنا من الرعب ولما ارتفع الدوار عنا وعادت الينا قوانا انتصبنا على أقدامنا ورأينا الصخور التي بالقرب منا تمزت قطعاً والقبور بانث منها اكفان الموتى فكان بالقرب من هذا المكان بستان لغني فيه قبر حديد منحوت بصخر فتوجه الى الوالي الروماني وطلب اليه أن يأذن له بوضع جسد يسوع فيه فاذن له فوضعه فيه بعد ان ضمخه بالاطياب والروائح الذكية

وخاف اليهود أن يسرق التلاميذ الجسد وبدعوا قيامته فطلبوا من الوالي التعقيب عليه فامر أن يوضع الحرم فوضع على القبر بعد أن سد بابه بحجر كبير وختم عليه

(٢) فهذه الحوادث المكدره بعنت بي شوقاً الى ان الازم تلاميذه واستطاع اخبارهم وأقف على ما هم عازمون ان يفعلوه ان كانوا يتفرقون ايدي سبا او يقيمون الحجة ضد الوالي واليهود لدى الامبراطور على ما اتوه من الظلم وبعد ذلك يتنادون بدعوة معلمهم المصابوب

وينشرون تعاليمه فجملت اجول في شوارع المدينة واتقصى عن  
الموضع الذي كانوا يترددون اليه لاني علمت من بعض النساء انهم  
بعد القبض على يسوع في بستان جثساني وقع الرعب في قلوبهم  
ولازمه بعضهم خفية الى دار رئيس الكهنة حيث اثبت اليهود عليه  
انه جدف لانه قال ان الله اياه وساوى ذاته به فلما كشفت بوابه  
عن امر أحدهم المدعو بطرس انكره من شدة الخوف وحلف مراراً  
انه يجله

وبعد العناء الشديد تأكدت أنهم مخفون في جبل صهيون في  
منزل ام يوحنا الذي دعي بعدئذ مرقس فلما بلغت الى باب ذلك  
المزل قرعته مراراً ففتحت جارية اسمها رودا ولم تأذن لي بالدخول  
الا بعد أن وقفت على معرفتي تمام الوقوف فدخلت الى حيث  
وجدت اولئك المساكين مكرويين مذلين مذعورين هذا يكتئب  
وذاك يتنهّد والآخر يردد الصعداء وكلهم في خوف ووجل حاثرون  
لا يدرّون ماذا يكون من أمرهم والنساء اللواتي معهم وان كن في  
حزن عميق وانكسار قلب خاصة والدّة المصلوب التي كان يصعد  
من جوفها كل عويل بعد آخر يفتت الكبد فقد كن أقوى قلباً منهم  
واسكن جاشاً

وكانت النساء قصدن ان يذهبن في اليوم التالي لبيكين عند  
القبر فلم يأذن لهن شؤون السبت والخوف من اليهود فاكتفين باعداد  
الطيب ليذهبن به جسد يسوع وصباح اليوم الثالث من الفجر انطلقن

الى القبر ولم يعض على غيابهن زمن حتى رجعن مذعورات محمولات  
بفرح عظيم وكانت مريم اخت لعازر أشد سرعة فلم تصل باب  
المزل حتى قرعته بعنف فتربصنا كل واحد في مكانه خائفين وجد  
الدم في عروقنا وبالجهد دنت الجارية من الباب بوجل ونادت بصوت  
متقطع من القارح ؟ تجاوبتها بزغردة فخارت قوى الجارية من  
الاضطراب وعادت بدون ان تفتح الى بطرس ويوحنا وام يسوع  
لأنها كانت معها في غرفة واحدة واخبرهم بالامر فخرجوا مسرعين  
الى الباب وفتحوه فأرسلت النساء زعاريدهن ووقعت مريم اخت  
لعازر على عنق ام يسوع وقالت لها

- انت - انه - قام من القبر وقد نظرتي وكلمني - البشرى  
يا مريم البشرى يا بطرس البشرى يا يوحنا البشرى يا تلاميذه انكم  
لم تكونوا مذعورين بالحقيقة قام رب المجد ابن الاب البارك ليا لعظم  
سرورنا وفرحنا وسعدنا به يا لخزي اليهود الصالين

فلم تدع هذه العبارات فينا قوة الاحتمال والصبر الى ان نسمع  
تفصيل ما شاهدته فخرجنا جميعنا وبطرس ويوحنا يتقدمانا وما  
اجترنا بوابه المدينة قليلاً حتى لقينا أربعة جنود فاجتازونا راكضين  
بحو المدينة مذعورين فناداهم حارس البوابة ماذاكم حتى أراكم  
خائفين أيها الأبطال ؟

فاجابه أحدهم ( اعلم أننا نحن الحرس الذين أمرنا أن نفقر على  
قبر النبي يسوع حدث انه يننا كنت أخطر قدام القبر عند شروق

نور الفجر اذ ابرق حولنا نور خاطف مصحوب بحفيف شديد كأنه  
من أجنحة كثيرة أيقظ رفاقي مذعورين واذ تطلعنا الى فوق شاهدنا  
شخصاً يتألق بالضياء الساطع ينقض الى الاسفل حتى نزل على القبر  
وحينما مست قدماه الحجر اهتزت الارض تحت أقدامنا كما من زلزال  
والوقت رأينا التي المصلوب قام من القبر واقفاً على قدميه  
ومشى يتخطى في البستان بمعجب وافتخار وقوة وانتصار ومن هول  
النظر سقطنا على وجوهنا ولم نعد الى رشدنا حتى لحنا القبر وقد  
ابتلا من صور تسطع بضياء ساطع فاركنا الى الفرار )  
ثم دخلوا المدينة اما نحن فخرجنا مسرعين وفي الطريق سألت  
مريم ماذا شاهدت؟ فقالت: لما اتينا القبر وجدنا الجند ساقطين كالأموات  
وملاً كجالساً على الحجر بجانب القبر فحفظنا هوقفنا حائرات فنادانا  
قائلاً: انا اعلم انكن تظنن يسوع فقد قام كما قال وهو ذا المكان الذي  
كان الرب مضجعا فيه اسرعن الى تلاميذه وقلن لهم ان يذهبوا  
الى الجليل ليروه هناك

وما أتمت كلامها حتى وصلنا البستان وشاهدنا عن بعد نوراً  
ينبعث من القبر فلما اقتربنا منه رأينا داخله ملاكين احدهما عند  
الرجلين والاخر عند الرأس وبعد ان بشرانا توأرياً وعلى أثر ذلك  
وصل يوحنا فتطلع في القبر ولم يدخل فرأى الاكفان مطوية وكذا  
للمنديل الذي كان على رأسه فامن ثم وافى بطرس ودخل القبر وخلص  
كل شيء بتدقيق واقتنع

فعدنا جميعاً الى المدينة لنبشر باقي التلاميذ ماعدا مريم التي  
استمرت عند القبر باكية فقالت بعدئذ: انها رأت الرب ولما عدت  
لمسك بقدميه قال لها: لا تلمسيني انطلقى الى اخوتي وامي وبشرهم  
ثم اختفى عنها

وما طرق بسماع التلاميذ هذه البشرى حتى امرعوا الى الجليل  
حيث شاهدوا يسوع على شاطئ البحيرة واكلوا معه وشربوا ولما  
عادوا الى اورشليم دخل عليهم والابواب مغلقة ولم يكن توما معهم  
فظهر لهم مرة أخرى وهو معهم

وفي ختام الاربعين يوماً من قيامته سار بنا الى قمه جبل الزيتون  
وبعد ان اوصانا الان نبرح من اورشليم حتى نلبس قوة من العلاء انفرد  
عنا قليلاً وصعد الى السماء وعيوننا تشيعه

(تم)

## يسوع المصلوب ( كتبت يوم الجمعة الحزينة )

اليوم وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية من رقادها العميق وتقف أمام أشباح الاجيال ناظرة بعيون مغلقة بالدموع نحو جبل الجلجلة لترى يسوع الناصري معلقاً على خشبة الصليب . وعندما تضيئ الشمس عن ما تاتي النهار تعود الانسانية وترك مصلية أمام الاصنام المنتصبة على قمة كل رابية وفي سفح كل جبل . اليوم تقود الذكرى ارواح المسيحيين من جميع أقطار العالم الى جوار اورشليم فيقفون هناك صفوفًا صفوفًا قارعين صدورهم محدقين بشبح مكلل بالاشواك باسط ذراعيه أمام اللانهاية ناظر من وراء حجاب الموت الى أعماق الحياة . ولكن لا تسدل ستائر الليل على مسارح هذا النهار حتى يعود المسيحيون ويضطجعون جماعات جماعات في ظلال النسيان بين لحف الجمالة والحول .

وفي مثل هذا اليوم من كل سنة يترك الفلاسفة كهوفهم المظلمة والمفكرون صوامعهم الباردة والشعراء اوديتهم الخيالية ويقفون جميعهم على جبل عال صامتين متبئين مصفين الى فتى يقول لغاتليه ( يا ابتاء اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يفعلون ) ولكن لا تكشف السكينة أصوات النور حتى يعود الفلاسفة والمفكرون والشعراء ويكفنون ارواحهم بصفحات الكتب البالية . ان النساء المشغولات

ببهجة الحياة المشغولات بالحلى والحلل يخرجن اليوم من منازلهن يشاهدن المرأة الحزينة الواقفة أمام الصليب وقوف الشجرة اللينة امام عواصف الشتاء ويقتربن منها ليسمن أنينها العميق وغصاتها الالهية

اما الفتيان والصبايا الراكضون مع تيار الايام الى حيث لا يدرون فيقفون اليوم هنيهة ويلتفتون الى الوراء ليروا الصبية المجادلة تفصل بدموعها قطرات الدماء عن قدمي رجل منتصب بين الارض والسماء . ولكن عندما تمل عيونهم النظر الى هذا المشهد يتحولون مسرعين ضاحكين

وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية يقظة الربيع وتقف باكية لاوجاع الناصري ثم تطبق اجفانها وتنام نوماً عميقاً اما الربيع فيظل مستيقظاً مبتسماً سائراً حتى يصير صيفاً مذهب الملايس معطر الاذيان . الانسانية طفلة تقف متأوهة بجانب الطائر الذي يح ولكنها تخشى الوقوف امام العاصفة الهائلة التي تعصر بسميرها الاغصان اليابسة وتجرف بعزمها الاقدار المنتنة . الانسانية ترى يسوع الناصري مولوداً كالفقراء عائشاً كالمساكين مهاناً كالضعفاء مصلوباً كالمجرمين قتيكه وترثيه وتدبه وهذا كل ما تفعله لتكريمه .

منذ تسعة عشر جيلاً والبشر يعبدون الضعف بشخص يسوع . ويسوع كان قوياً ولكنهم لا يفهمون معنى القوة الحقيقية . ما عاش يسوع مسكيناً خائفاً ولم يمت شاكياً متوجعاً بل عاش نائراً وصلب

متمرداً ومات جباراً . لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر نهوبها جميع الاجنحة المعوجة .  
 لم يحيي يسوع من وراء الشفق الازرق ليجعل الالم رمزاً للحياة بل جاء ليجعل الحياة رمزاً للحق والحرية . لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش اعداءه ولم يتوجع امام قاتليه بل كان حراً على رؤوس الاشهاد جريئاً امام الظلم والاستبداد يرى البثور الكريهة فيضعها ويسمع الشر متكلماً فيخرسه ويلتقي بالرياء فيصرعه . لم يهبط يسوع من دائرة النور الاعلى ليهدم المنازل ويبني من حجارها الاديرة والصوامع ويستهدي الرجال الاشداء ليقودهم قسوساً ورهباناً بل جاء ليث في فضاء هذا العالم روحاً جديدة قوية تقوض قوائم العروش المرفوعة على الجماجم وتهدم القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الاصنام المنصوبة على احياء الضعفاء المساكين لم يحيي يسوع ليعلم الناس بناء الكنائس الشاهقة والمعابد الضخمة في جوار الاكواخ الحقيرة والمنازل الباردة المظلمة . بل جاء ليجعل قلب الانسان هيكلًا وقسه مذبحاً وعقله كاهناً هذا ما صنعه يسوع الناصري وهذه هي المبادي التي صلب لاجلها مختاراً ولو عقل البشر لوقفوا اليوم فرحين متهللين منشدين اهازيج الغلبة والاتصار .

وانت ايها المصلوب الجبار الناظر من اعالي الجلجلة الى مواكب الالحيال السامع ضجيج الالم الفاعم احلام الابدية انت على

خشبة الصليب المضرجة بالدماء اكثر جلالاً ومهابة من الف ملك على الف عرش في الف مملكة ، بل انت بين النزع والموت اشد هولاً وبطشاً من الف قائد في الف جيش في الف معركة .  
 انت بكاء بك اشد فرحاً من الربيع بازهاره انت باوجاعك اهدأ بالاً من الملائكة بسماواتها . وانت بين الجلادين اكثر حرية من نور الشمس . ان اكليل الشوك على رأسك هو أجل واجل من تاج بهرام والمسار في كفك اسمى وانغم من صولجان المشتري . وقطرات الدماء على قدميك اسمى لمعاناً من قلائد عشاروت . فسامح هؤلاء الضعفاء الذين ينوحون عليك لانهم لا يدرون كيف ينوحون على نفوسهم واغفر لهم لانهم لا يعلمون بانك صدعت الموت بالموت ووهبت للحياة لمن في القبور  
 عن كتاب (المواصف)

ومن هذا الكتاب من مقالة عنوانها (نحن وانتم — نحن ابناء الكآبة . وانتم ابناء السرور)

( قد صليتم الناصري ووقفتم حوله تسخرون به وتجدفون عليه . ولكن لما انقضت تلك الساعة فزل عن صليبه وسار كالجبار يتغلب على الالحيال بالروح والحق ويملا الارض بمجده وجماله . وقد سمعتم سقراط ورجم بولس « اسطفايوس » وسجنتم غليلو . وهؤلاء يحيون الآن كالأبطال الظافرين امام وجه الابدية .